سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٧٠)

الفرح بالله

من كلام أهل العلم
في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"قلت : ﴿نحلة﴾ : مصدر من ﴿آتوهن﴾ ، لأنها في معنى الإيتاء ، يقال : نحله كذا نحلة ونحلا ؛ إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ولا حكم حاكم ، والضمير في ﴿منه﴾ يعود على الصداق أو على " الإيتاء " ، و ﴿نفسا﴾ تمييز ، و ﴿هنيئا مريئا﴾ : صفتان لمصدر محذوف ، أي : أكلا هنيئا ، وهو من هنؤ الطعام ومرؤ ، إذا كان سائغا لا تنغيص فيه ، وقيل الهنيء : ما يلذه الإنسان ، والمريء : ما تحمد عاقبته.يقول الحق جل جلاله : للأزواج : ﴿وآتوا النساء﴾ التي تزوجتموهن ﴿صدقاتهن نحلة﴾ أي : عطية مبتلة ، لا مطل فيها ولا ظلم ، ﴿فإن طبن لكم عن شيء﴾ من الصداق : وأعطينه لكم عن طيب أنفسهن ﴿فكلوه هنيئا﴾ لاتبعة عليكم فيه ، ﴿مريئا﴾ : سائغا حلالا لا شبهة فيه ، روي أن ناسا كانوا يتحرجون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئا ، فنزلت. وقيل : الخطاب للأولياء ، لأن بعضهم كان يأكل صداق محجورته ، فأمروا أن يعطوهن صداقهن ، إلا إن أعطينهم شيئا عن طيب أنفسهن ، والله تعالى أعلم.الإشارة : وآتوا النفوس حقوقها من الراحة وقوت البشرية ، نحلة ، ولا تكلفوها فوق طاقتها ، فإن طبن لكم عن شيء من الأعمال أو الأحوال ، بانشراح صدر ونشاط ، فكلوه هنيئا مريئا ، فإن العبادة مع النشاط **والفرح بالله** أعظم وأقرب للدوام ، وهذا في حق النفوس المطمئنة ، وأما النفوس الأمارة فلا يناسبها إلا قهرية المجاهدة مع السياسة ؛ لئلا تمل ، أو تقول : من أقامه الحق تعالى في حال من الأحوال أو مقام من المقامات فليلزمه ، وليقم حيث أقامه الحق ، ويعطيه حقه ، فإن طاب وقته لحال من الأحوال فليأكله هنيئا مريئا. فالفقير ابن وقته ، ينظر ما يبرز له فيه من رزقه ، فكل ما وجد فيه قلبه فهو رزقه ، فليبادر إلى أكله لئلا يفوته رزقه منه. والله تعالى أعلم بأسرار كتابه.جزء : ٢ رقم الصفحة : ٧قلت : ﴿قيما﴾ : مصدر قام قياما وقيما ، وأصله : قواما ، قلبت الواو ياء.." (١)

"﴿وكذلك أنزلناه﴾ أي : ومثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الدين المجمع عليها ، ﴿أنزلناه حكما عربيا﴾ أي : يحكم في القضايا والوقائع ، بما تقتضيه الحكمة ، مترجما بلسان العرب ؛ ليسهل عليهم فهمه وحفظه. ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ التي يدعونك إليها ؛ كتقرير دينهم ، والصلاة إلى قبلتهم بعدما حولت عنها ، ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ بنسخ ذلك ، ﴿ما لك من الله من ولي﴾ ينصرك ، ﴿ولا واق﴾ يقيك عتابه. وهو حسم لأطماعهم ، وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم. وبالله التوفيق.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٥الإشارة : الفرح بما أنزل من عند الله هو مقدمات **الفرح بالله** ، فإذا رفعت أكنة الغفلة عن القلب تلذذ بسماع الخطاب من وراء الباب ، وذلك أمارة القرب. وهذا مقام أهل المراقبة من المحبين. فإذا جد في السير رفعت عنه الحجب والأستار ، وواجهته الأنوار والأسرار ، فيكاشف بأسرار الذات وأنوار الصفات ، فيتلذذ بشهود المتكلم ، فيسمع حينئذ الكلام من المتكلم به بلا واسطة. وهذا مقام أهل الشهود من المحبين المقربين. (ومن الأحزاب) ، وهم أهل الرئاسة والجاه ، من ينكر وجود بعض هذه المقامات ؛ تعصبا وحمية. أو ينسبها لنفسه غلطا وجهلا ، فيقول له من تحقق بهذا المقام : إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعو وإليه مآب. ويغيب عنه

---

(١) البحر المديد. ٩/٢

بالاشتغال بالله ، وبالدعاء إليه ، فإن غفل واشتغل به ، أو ركن إلى قوله ، قيل له : ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ؛ ما لك من الله من ولي ولا واق.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٥." (١)

"الإشارة : ذكر الحق تعالى في هذه الآية مقامين من مقامات اليقين : الصبر والشكر ، ومدح من تخلق بهما واستعملهما في محلهما ، فيركب أيهما توجه إليه منهما ، ويسير بهما إلى ربه. فالصبر عنوان الظفر ، وأجره لا ينحصر ، والشكر ضامن للزيادة ، قال بعض العارفين : (لم يضمن الحق تعالى الزيادة في مقام من المقامات إلا الشكر) ، فدل أنه أفضل المقامات وأحسن الطاعات ، من حيث إنه متضمن **للفرح بالله** ، وموجب لمحبة الله. ولا شك أن مقام الشكر أعلى من مقام الصبر ؛ لأن الشاكر يرى المنن في طي المحن ، فيتلقى المهالك بوجه ضاحك ؛ لأنه لا يكون شاكرا حقيقة حتى يشكر في السراء والضراء ، ولا يشكر في الضراء حتى يراها سراء ، باعتبار ما يواجه به في حال الضراء من الفتوحات القبية ، والمواهب اللدنية ، فتنقلب النقمة نعمة. بخلاف مقام الصبر ، صاحبه يتجرع مرارة الصبر ؛ لأنه لم يترق إلى شهود المبلى في حال بلائه ، ولو ترقى إلى شهوده للذت لديه البلايا ، كما قال صاحب العينية : تلذ لي الآلام ؛ إذ كنت مسقميوإن تختبرني فهي عندي صنائعجزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٥٥لكن هذه الأحوال تختلف على العبد باعتبار القوة والضعف ؛ فتارة تجده قويا يتلقى٣٥٧المهالك بوجه ضاحك ، وتارة تصادفه الأقدار ضعيفا ؛ فلا يبقى معه إلا الصبر وتجرع مرارة البلاء ، والعياذ بالله. قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في كتاب القصد : " رأيت كأني مع النبيين والصديقين ، فأردت الكون معهم ، ثم قلت : اللهم اسلك بي سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم ، فإنهم أقوى ونحن أضعف منهم ، فقيل لي : قل : وما قدرت من شيء فأيدنا كما أيدتهم.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٥٥قلت : (شك) : فاعل بالمجرور ، و(فاطر) : نعت له.." (٢)

"فالواجب : الاشتغال بما يدوم ثوابه ، ولذلك قال له صلى الله عليه وسلم : ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ ، أمره بأن يأمر أهل بيته ، أو التابعين له من أمته ، بالصلاة ، بعد ما أمر هو بقوله : ﴿وسبح بحمد ربك﴾ على ما مر ؛ ليتعاونوا على الاستعانة على الخصاصة ، ولا يهتموا بأمر المعيشة ، ولا يلتفتوا لغنى أرباب الثروة. ﴿واصطبر عليها﴾ ؛ وتكلف الصبر على مداومتها ، غير ملتفت لأمر المعاش ، ﴿لا نسألك رزقا﴾ أي : لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك ، ﴿نحن نرزقك﴾ وإياهم ، ففرغ قلبك لمشاهدة أسرارنا ، ﴿والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للتقوى﴾ أي : لأهل التقوى. روي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضر أو خصاصة أمرهم بالصلاة ، وتلا هذه الآية. والله تعالى أعلم.الإشارة : ما خوطب به نبينا صلى الله عليه وسلم خوطب به خاصة أمته ، فلا تمدن عينيك ، أيها الفقير ، إلى ما متع به أهل الدنيا ، من زهرتها وبهجتها ، بل ارفع همتك عن النظر إليها ، واستنكف عن استحسان ما شيدوا وزخرفوا ، فإن ذلك حمق وغرور. كان عروة بن الزبير رضي الله عنه إذا رأى أبناء السلاطين وشاراتهم دخل داره وتلا : ﴿ولا تمدن عينيك...﴾ الآية. وكان يحي بن معاذ الرازي يقول لعلماء زمانه : يا علماء السوء ؛ دياركم هامانية ، ومراكبكم قارونية ، وملابسكم فرعونية ، فأين السنة

---

(١) البحر المديد. ٤٧٧/٣

(٢) البحر المديد. ٤٩٣/٣

المحمدية ؟ ٣٢٢ولا تشتغل بطلب رزق فرزق ربك – وهو ما يبرز لك في وقتك من عين المنة ، من غير سبب ولا خدمة – خير وأبقى – ، أما كونه خيرا ؛ فلما يصحبه من اليقين **والفرح بالله** وزيادة المعرفة ، وأما كونه أبقى ؛ لأن خزائنه لا تنفد ، مع بقاء أثره في القلب من ازدياد اليقين ، والتعلق برب العالمين. ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ واصطبر أنت عليها ، فإن رزقنا يأتيك لا محالة ، في الوقت الذي نريده ، ﴿لا نسألك رزقا﴾ لك ولا لأهلك ، ﴿نحن نرزقك﴾ ، لكن رزق المتقين ، لا رزق المترفين ، ﴿والعاقبة للتقوى﴾. وبالله التوفيق.." (١)

"وذلك أيضا شاهد بأنه ﴿يحيي الموتى﴾ كما أحيا الأرض ، مرة بعد أخرى ، ﴿وأنه على كل شيء قدير﴾ أي : مبالغ في القدرة ، وإلا لما أوجد هذه الموجودات الفائتة الحصر. وتخصيص إحياء الموتى بالذكر ، مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها ؛ للتصريح بما فيه النزاع ، وللطعن في نحور المنكرين. ﴿وأن الساعة آتية﴾ : قادمة عليكم ، ﴿لا ريب فيها﴾ ، وإيثار اسم الفاعل على الفعل ؛ للدلالة على تحقق إتيانها وتقريره ألبتة. ومعنى نفي الريب عنها : أنها ، في ظهور أمرها ووضوح دلائلها ، بحيث ليس فيها مظنة الريب ، ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ ؛ لأنه تعالى حكم بذلك ووعد به ، وهو لا يخلف الميعاد ، والتعبير بـ " من في القبور " : خرج مخرج الغالب ، وإلا فهو يبعث كل من يموت. والله تعالى أعلم وأحكم.الإشارة : يا أيها الناس المنكرون لوجود التربية النبوية ، وظهور أهل الخصوصية في زمانهم ، الذين يحيي الله الأرواح الميتة ، بالجهل والغفلة ، على أيديهم ؛ إن كنتم في ريب من هذا البعث فانظروا إلى أصل نشأتكم وتنقلات أطواركم ، فمن فعل ذلك وقدر عليه ، قدر أن يحيي النفوس الميتة بالغفلة في كل زمان. وفي الحكم : " من استغرب أن ينقذه الله من شهوته ، وأن يخرجه من وجود غفلته ، فقد استعجز القدرة الإلهية ، وكان الله على كل شيء مقتدرا ". وجرت عادته أنه لا يحييها في الغالب إلا على أيدي أهل الخصوصية. وترى أرض النفوس هامدة ميتة بالغفلة ، فإذا أنزلنا عليها ماء الحياة ، وهي الواردات الإلهية ، وأسقيناها الخمرة القدسية ، اهتزت **فرحا بالله** ، وربت ، وارتفعت بالعلم بالله ، وأنبتت من أصناف العلوم والحكم ، ما تبهج منه العقول ، ذلك شاهد بوحدانية الحق ، وأن ما سواه باطل. وبالله التوفيق.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٩٤." (٢)

"وانتنت فلم يستطع أحد أن يدنو منهم حتى ماتوا وقس عليه التعرض لأهل الحق بشيء مكروه كما يفعله أهل الإنكار في حق سادات الصوفية ولا يدرون أنه يوجب المقت وربما يبتلى أحدهم بمرض هائل في بدنه وهو غافل عن سببه وجهة نزوله به ، وكل عمل لا بد وأن يصل جزاؤه إلى عامله في الحال ولكن لا يرى في الدنيا بعين اليقين وإنما يرى في الآخرة إذا قيل له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ألا ترى أن عذاب البعد واقع لأهل الغفلة والحجاب ، ولكن ما ذاقوا ألمه لأنهم نيام فإذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ذلك حسا ، ولئن قلت : للأشقياء موتوا عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة لتحيوا بالحقيقة ، فأن الحياة الحقيقة تكون بعد الموت عن الحياة الطبيعية ليقولن الذي ستروا حسن استعدادهم الفطري بتعلق المكونات ومحبتها وهم الأشقياء : أن هذا إلا كلام مموه لا أصل له كما في التأويلات النجمية. قال السعدي

---

(١) البحر المديد. ٤/٤٧٤

(٢) البحر المديد. ٤/٥٩١

: بكوى آنه دانى سخن سودمندوكر هي كس رانيايد سندكه فردا شيمان بر آرد خروشكه آوخ را حق نكردم بكوشوفي المثنوى : منقبض كردند بعضى زين قصصزانكه هر مرغى جدا دارد قفصكود كان كره بيك مكتب درنددر سبق هريك زيك بالاترندمرك يش ازمرك اينست اي فتاين نين فرمود مارا مصطفكفت موتوا كلكم من قبل انيأتي الموت تموتوا بالفتنجزء : ٤ رقم الصفحة : ١٠١﴿ولئان﴾ اللام موطئة للقسم أذ قنا الإنسان منا رحمة أي : أعطيناه نعمة من صحة وأمن وجدة وغيرها وأوصلناها إليه بحيث يجد لذتها والمراد مطلق الإنسان وجنسه الشامل للمؤمن والكافر بدلالة الاستثناء الآتي. وقوله منا حال من رحمة أي : لا باستحقاق منه ثم نزعناها منه أي : سلبنا تلك النعمة منه وأزلناها عنه وإيراد النزع للإشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها.قال سعدي المفتي الظاهر : أن من صلة نزعناها ، أي : قلعناها منه ولا يبعد أن يقال : والله أعلم أن من للتعليل يعني : أن منشأ النزع شؤم نفسه بارتكاب معصية الله إنه ليئوس شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وتسليمه لقضائه وعدم ثقته به وهو جواب القسم ساد مسد جواب الشرط. كفور عظيم الكفران لما سلف له من النعم نساء له. قال السعدي قدس سره : سكى را لقمه كردادى فراموشنكرد دكرزنى صد نوبتش سنكوكر عمري نوازي سفله رابكمتر تندى آيد باتو درجنكومعنى الكفران : إنكار النعمة والمعروف وستره وترك شكره وحمده وعدم الثناء على فاعله ومعطيه.وفيه إشارة إلى أن النزع إنما كان بسبب كفرانهم.ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة أضاف سبحانه وتعالى إذاقة النعماء إلى ذاته الكريمة ومس الضراء إليها لا إلى ذاته الجليلة تنبيها على أن القصد الأول إيصال الخير إلى العباد تفضلا منه تعالى ورحمة ومساس الشر ليس إلا لشؤم نفسه وفساد١٠٢ حاله مجازاة وانتقاما قال الله تعالى : ما أصابك من حسنة فمن الله ومأأصابك من سيئة فمن نفسك﴾(النساء : ٧٩) وهذا هو المراد من قول البيضاوي : وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق الذي هو إدراك الطعم وعن ملابسة الضراء بالمس الذي هو مبدأ الوصول كأنما يلاصق البشرة من غير تأثير تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة. ﴿ليقولن﴾ الإنسان ذهب السيئات عني أي : المكاره والمصائب التي ساءتني. أي : فعلت بي ما أكره ولن يعتريني بعد أمثالها فأن الترقب لورود أمثالها مما يكدر السرور وينغص العيش. إنه لفرح (شاد مانست مغروريان) وهو اسم فاعل من فعل اللازم. والفرح إذا اطلق في القرآن كان للذم وإذا كان للمدح يأتي مقيدا بما فيه خير كقوله تعالى : ﴿فرحين بمآ ءاتاناهم الله من فضله﴾ كذا في حواشي سعدي المفتي.جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٠٢يقول الفقير يرده قوله تعالى : ﴿إذا فرحوا بمآ أوتوا أخذناهم بغتة﴾ (الأنعام : ٤٤) والظاهر أن كونه للمدح أو للذم إنما هو بحسب المقام والقرائن.واعلم أن الفرح بالنعمة ونسيان المنعم فرح الغافلين والعطب إلى هذا أقرب من السلامة والإهانة أوفي من الكرامة.قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة : في بعض "تحريراته" هو المحبوب لذاته لا لعطائه وعطاؤه محبوب لكونه محبوبا لا لنفسه ونحبه ونحب عطاءه لحبه انتهى باجمال ، يشير قدس سره إلى **الفرح بالله** تعالى على كل حال ﴿فخور﴾ على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها. قال السعدي قدس سره : و منعم كند سفله را روزكارنهد بردل تنك درويش بارو بام بلندش

بودخود رستكندبول وخاشاك بربام ستوقال : كه اندر نعمتي مغرور وغافلكهى ازتنك دستى خسته وريشو درسرا وضرا حالت اينستندانم كى بحق بردازى ازخويش(يعني كى فارغ شوى ازخود وبحق مشغول شوى).." (١)

"﴿ ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ﴾كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة اضاف سبحانه وتعالى اذاقة النعماء لى ذاته الكريمة ومس الضراء اليها لا الى ذاته الجليلة تنبيها على ان القصد الاول ايصال الخبر الى العباد تفضلا منه تعالى ورحمة ومساس الشر ليس الا لشؤم نفسه وفساد حاله مجازاة وانتقاما قال الله تعالى ﴿ ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ وهذا هو المراد من قول البيضاوى وفى اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى وفى التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق الذى هو ادراك الطعم وعن ملابسة الضراء بالمس الذى هو مبدأ الوصول كانما يلاصق البشرة من يغر تأثير تنبيه على ان ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الآخرة ﴿ ليقولن ﴾ الانسان ﴿ ذهب السيآت عنى ﴾ اى المكاره والمصائب التى ساءتنى اى فعلت بى ما اكره ولن يعتريني بعد امثالها فان الترقب لو ورد امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش ﴿ انه لفرح ﴾ [شادمانست مغرورريان] وهو اسم فاعل من فعل اللازم . والفرح اذا اطلق فى القرآن كان للذم واذا كان للمدح ياتى مقيدا بما فيه خير كقوله تعالى ﴿ فرحين بما آتيهم الله من فضله ﴾كذا فى حواشى شعدى المفتى

يقول الفقير يرده قوله تعالى ﴿ اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة ﴾ والظاهر ان كونه للمدح او للذم انما هو بحسب المقام والقرائن

واعلم ان الفرح بالنعمة ونسيان المنعم فرح الغافلين والعطب الى هذا اقرب من السلامة والاهانة او فى من الكرامة

قال حضرة شيخنا العلامة ابقاه الله بالسلامة فى بعض تحريراته هو المحبوب لذاته لا لعطائه وعطاؤه محبوب لكونه محبوبا لا لنفسه ونحبه ونحب عطاءه لحبه انتهى باجمال يشير قدس سره الى **الفرح بالله** تعلاى على كل حال ﴿ فخور ﴾ على الناس بما اوتى من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها : قال السعدى قدس سره

جو منعم كند سفله رآ روزكار ... نهد بردل تنك درويش بار

جوبام بلندش بودخودبرست ... كندبول وخاشاك بربام بست

وقال

كه اندر نعمتى مغرور وغافل ... كهى از تنك دستى خسته وريش

جو درسرا وضرا حالت اينست ... ندانم كى بحق بردازى از خويش

[يعنى كى فارغ شوى از خود وبحق مشغول شوى]." (٢)

"أحدهما: الفضل في نفسه. والثاني: استعداد المحل لقبوله، كالغيث يقع على الأرض القليلة النبات فيتم المقصود بالفضل وقبول المحل له. والله أعلم.وقد جاء الفرح في القرآن على نوعين: مطلق، ومقيد. فالمطلق:جاء في الذم كقوله: ٢٨:

---

(١) تفسير روح البيان . ٦٠/٤

(٢) تفسير حقي، ٣٧٥/٥

٧٦ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وقوله ١١: ١٠ إنه لفرح فخور والمقيد نوعان أيضا: مقيد بالدنيا، ينسى صاحبه فضل الله ومنته، فهو مذموم. كقوله ٦: ٤٤ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون والثاني: مقيد بفضل الله وبرحمته، وهو نوعان أيضا: فضل ورحمة بالسبب وفضل ورحمة بالمسبب.فالأول: كقوله: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون.والثاني: كقوله ٣: ١٧ فرحين بما آتاهم الله من فضله **فالفرح بالله** ورسوله وبالإيمان والسنة وبالعلم والقرآن من علامات العارفين. قال الله تعالى: ٩: ١٣٤ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول: أيكم زادته هذه إيمانا؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا، وهم يستبشرون وقال ١٣: ٣٦ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك فالفرح بالعلم والإيمان والسنة دليل على تعظيمه عند صاحبه ومحبته له. وإيثاره له على غيره. فإن فرح العبد بالشيء عند حصوله على قدر محبته له ورغبته فيه. فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله، ولا يحزنه فواته. فالفرح تابع للمحبة والرغبة. فالفرق بينه وبين الاستبشار: أن الفرح بالمحبوب بعد حصوله، والاستبشار يكون به قبل حصوله إذا كان على ثقة من حصوله ولهذا قال تعالى:٣: ١٧٠ فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم.." (١)

"حاله مجازاة وانتقاما قال الله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وهذا هو المراد من قول البيضاوي وفى اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى وفى التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق الذي هو ادراك الطعم وعن ملابسة الضراء بالمس الذي هو مبدأ الوصول كأنما يلاصق البشرة من غير تأثير تنبيه على ان ما يجده الإنسان فى الدنيا من النعم والمحن كالا نموذج لما يجده فى الآخرة ليقولن الإنسان ذهب السيئات عني اى المكاره والمصائب التي ساءتنى اى فعلت بي ما اكره ولن يعتريني بعد أمثالها فان الترقب لورود أمثالها مما يكدر السرور وينغص العيش إنه لفرح [شادمانست مغروريان] وهو اسم فاعل من فعل اللازم. والفرح إذا اطلق فى القرآن كان للذم وإذا كان للمدح يأتى مقيدا بما فيه خير كقوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله كذا فى حواشى سعدى المفتى يقول الفقير يرده قوله تعالى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة والظاهر ان كونه للمدح او للذم انما هو بحسب المقام والقرائن واعلم ان الفرح بالنعمة ونسيان المنعم فرح الغافلين والعطب الى هذا اقرب من السلامة والاهانة او فى من الكرامة قال حضرة شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة فى بعض تحريراته هو المحبوب لذاته لا لعطائه وعطاؤه محبوب لكونه محبوبا لا لنفسه ونحبه ونحب عطاءه لحبه انتهى باجمال يشير قدس سره الى **الفرح بالله** تعالى على كل حال فخور على الناس بما اوتى من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها: قال السعدي قدس سرهچومنعم كند سفله را روزگار ... نهد بر دل تنگ درويش بارچوبام بلندش بود خودپرست ... كند بول وخاشاك بر بام پستوقالكه اندر نعمتى مغرور وغافل ...گهى از تنگ دستى خسته وريشچودر سرا وضرا حالت اينست ... ندانم كى بحق پردازى از خويش[يعنى كى فارغ شوى از خود وبحق مشغول شوى] إلا الذين [مگر آنان كه] والاستثناء متصل صبروا على الضراء ايمانا بقضاء الله وقدره وفى الحديث (ثلاثة لا تمسهم فتنة الدنيا والآخرة المقر بالقدر والذي لا ينظر بالنجوم والمتمسك بسنتى) ومعنى الايمان بالقدر ان يعتقد ان الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضائه وقدره وهو مريد لها كلها واما النظر فى النجوم فقد كان حقا فى زمن إدريس عليه السلام يدل عليه قوله

---

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم ابن القيم ص/٣٢٠

تعالى خبرا عن ابراهيم عليه السلام فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم استدل بالنظر فى النجوم على انه سيسقم ثم نسخ فى زمن سليمان عليه السلام كما فى بحر الكلام وفى كتاب تعليم المتعلم علم النجوم بمنزلة المرض فتعلمه حرام لانه يضر ولا ينفع والهرب من قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن انتهى فينبغى ان لا يصدق اهل النجوم فيما زعموا ان الاجتماعات والاتصالات الفلكية تدل على حوادث معينة وكوائن مخصوصة فى هذا العالم قال العماد الكاتب اجمع المنجمون فى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة فى جميع البلاد." (١)

"قلت: نحلة: مصدر من آتوهن، لأنها في معنى الإيتاء، يقال: نحله كذا نحلة ونحلا إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ولا حكم حاكم، والضمير في «منه» يعود على الصداق أو على «الإيتاء» ، و (نفسا) تمييز، و (هنيئا مريئا) : صفتان لمصدر محذوف، أي: أكلا هنيئا، وهو من هنؤ الطعام ومرؤ، إذا كان سائغا لا تنغيص فيه، وقيل الهنيء: ما يلذه الإنسان، والمريء: ما تحمد عاقبته.يقول الحق جل جلاله للأزواج: وآتوا النساء التي تزوجتموهن صدقاتهن نحلة أي: عطية مبتلة «١» ، لا مطل فيها ولا ظلم، فإن طبن لكم عن شيء من الصداق، وأعطينه لكم عن طيب أنفسهن فكلوه هنيئا لاتبعة عليكم فيه، مريئا: سائغا حلالا لا شبهة فيه، روي أن ناسا كانوا يتحرجون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئا، فنزلت. وقيل: الخطاب للأولياء، لأن بعضهم كان يأكل صداق محجورته، فأمروا أن يعطوهن صداقهن، إلا إن أعطينهم شيئا عن طيب أنفسهن، والله تعالى أعلم.الإشارة: وآتوا النفوس حقوقها من الراحة وقوت البشرية، نحلة، ولا تكلفوها فوق طاقتها، فإن طبن لكم عن شيء من الأعمال أو الأحوال، بانشراح صدر ونشاط، فكلوه هنيئا مريئا، فإن العبادة مع النشاط والفرح بالله أعظم وأقرب للدوام، وهذا في حق النفوس المطمئنة، وأما النفوس الأمارة فلا يناسبها إلا قهرية المجاهدة مع السياسة لئلا تمل، أو تقول: من أقامه الحق تعالى في حال من الأحوال أو مقام من المقامات فليلزمه، وليقم حيث أقامه الحق، ويعطيه حقه، فإن طاب وقته لحال من الأحوال فليأكله هنيئا مريئا. فالفقير ابن وقته، ينظر ما يبرز له فيه من رزقه، فكل ما وجد فيه قلبه فهو رزقه، فليبادر إلى أكله لئلا يفوته رزقه منه. والله تعالى أعلم بأسرار كتابه.ثم نهى الأوصياء عن تمكين اليتامى من أموالهم قبل الرشد، فقال:[سورة النساء (٤) : آية ٥]ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (٥)قلت: «قيما» : «٢» مصدر قام قياما وقيما، وأصله: قواما، قلبت الواو ياء.ـــــــــــــــــــ(١) البتل: القطع(٢) قرأ نافع وابن عامر «قيما» وقرأ الجمهور «قياما» .." (٢)

"التوحيد، وجولان الروح في فضاء أسرار التفريد. وظل روحها وريحانها دائم، وهو: سكون القلب إلى الله، وفرح الروح بشهود الله. وإليه أشار ابن الفارض بقوله، رحمه الله، فى وصف خمرتها:وإن خطرت يوما على خاطر امرئ ... أقامت به الأفراح وارتحل الهمتلك عقبى الذين أتقوا السوى، وعقبى المنكرين لوجود أهل هذه الجنة نار القطيعة والبعد. أعاذنا الله من ذلك.ثم ذكر حال الفريقين: أهل الفرح بالله، وأهل الإنكار على أحباء الله، فقال:[سورة الرعد (١٣) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٠٣/٤

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٦٤/١

إليه أدعوا وإليه مآب (٣٦) وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق (٣٧)قلت: حكما: حال من ضمير أنزلناه.يقول الحق جل جلاله، في حق من سبقت له السعادة: والذين آتيناهم الكتاب كعبد الله بن سلام ومخيريق وأصحابهما، ومن أسلم من النصارى، وهم: ثمانون رجلا: أربعون بنجران، وثمانية باليمن، واثنان وثلاثون من الحبشة. أو: كل من آمن من أهل الكتاب، فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم. ثم ذكر ضدهم فقال: ومن الأحزاب من ينكر بعضه أي: ومن كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة والشحناء ككعب بن الأشرف وأصحابه من اليهود، والعاقب والسيد وأشياعهما من النصارى، من ينكر بعضه، وهو ما يخالف شرائعهم التي نسخت به، أو ما يوافق ما حرفوا منها.قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به، وهو جواب للمنكرين، أي: قل لهم: إنما أمرت فيما أنزل إلي أن أعبد الله وأوحده، وهو العمدة في الأديان كلها، فلا سبيل لكم إلى إنكاره. وأما إنكاركم ما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام لأنها تابعة للمصالح والعوائد، وتتجدد بتجددها. إليه أدعوا لا إلى غيره، وإليه مآب أي: وإليه مرجعي بالبعث لا إلى غيره. وهذا هو القدر المتفق عليه من الشرائع، وهو الأمر بعبادة الله وحده، والدعاء إليه، واعتقاد المآب إليه، وهو الرجوع بالبعث يوم القيامة فلا يخالف ما قبله من الشرائع، فلا معنى للإنكار حينئذ.." (١)

"وكذلك أنزلناه أي: ومثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الدين المجمع عليها، أنزلناه حكما عربيا أي: يحكم في القضايا والوقائع، بما تقتضيه الحكمة، مترجما بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه وحفظه.ولئن اتبعت أهواءهم التي يدعونك إليها كتقرير دينهم، والصلاة إلى قبلتهم بعد ما حولت عنها، بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك، ما لك من الله من ولي ينصرك، ولا واق يقيك عتابه. وهو حسم لأطماعهم، وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم. وبالله التوفيق.الإشارة: الفرح بما أنزل من عند الله هو مقدمات **الفرح بالله**، فإذا رفعت أكنة الغفلة عن القلب تلذذ بسماع الخطاب من وراء الباب، وذلك أمارة القرب. وهذا مقام أهل المراقبة من المحبين. فإذا جد في السير رفعت عنه الحجب والأستار، وواجهته الأنوار والأسرار، فيكاشف بأسرار الذات وأنوار الصفات، فيتلذذ بشهود المتكلم، فيسمع حينئذ الكلام من المتكلم به بلا واسطة. وهذا مقام أهل الشهود من المحبين المقربين. (ومن الأحزاب) ، وهم أهل الرئاسة والجاه، من ينكر وجود بعض هذه المقامات تعصبا وحمية. أو ينسبها لنفسه غلطا وجهلا، فيقول له من تحقق بهذا المقام: إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به، إليه أدعو وإليه مآب. ويغيب عنه بالاشتغال بالله، وبالدعاء إليه. فإن غفل واشتغل به، أو ركن إلى قوله، قيل له: ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق.ولما قالت اليهود- لعنهم الله- لو كان محمد رسولا لما أولع بالنساء، رد الله عليهم بقوله:[سورة الرعد (١٣) : الآيات ٣٨ الى ٣٩]ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب (٣٨) يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٣٩)يقول الحق جل جلاله: ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد، وجعلنا لهم أزواجا كثيرة:كداود عليه السلام كان له مائة امرأة، وابنه كان له ألف، على ما قيل، وغيرهما من الأنبياء والرسل. وجعلنا لهم منهن ذرية، وأنت يا محمد منهم فليس ببدع أن يكون الرسول

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٣/٣

بشرا، يتزوج النساء، ويحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر، إلا أنه لا يشغله ذلك عن أداء الرسالة، ونصيحة الأمة، وإظهار شريعة الدين، والقيام بحقوق رب العالمين. ولما أجابهم بشبهتهم قالوا: أظهر لنا معجزة كما كانت لهم، كالعصا وفلق البحر، وإحياء الموتى؟ فإنزل الله وما كان لرسول ما صح له ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية تقترح عليه، ويظهرها إلا بإذن الله وإرادته فإنه القادر على ذلك. لكل أجل من آجال بني آدم وغيرهم، كتاب يكتب فيه وقت موته، وانتقاله من الدنيا.." (١)

"أبناءكم ويستحيون نساءكم، قال البيضاوي: المراد بالعذاب هنا غير المراد به في سورتي البقرة والأعراف لأنه هناك مفسر بالتذبيح والقتل، ومعطوف عليه هنا، فهو هنا إما جنس العذاب، أو استعبادهم واستعمالهم بالأعمال الشاقة. هـ. وفي ذلكم الامتحان بلاء أي: ابتلاء من ربكم عظيم اختبركم به حتى أنقذكم منه، ليعظم شكركم، أو: في ذلك الإنجاء بلاء، أي: نعمة واختبار عظيم، لينظر كيف تعملون في شكر هذه النعمة.ولذلك قال لهم موسى عليه السلام: وإذ تأذن ربكم أي: آذن، بمعنى أعلم، كتوعد وأوعد، غير أن تأذن أبلغ من آذن لما في تفعل من التكلف والمبالغة، أي: أعلمكم، وقال: والله لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما أنعمت به عليكم من الإنجاء وغيره، بالإيمان والعمل الصالح، وبالإقرار باللسان، وإفراد النعمة للمنعم بالجنان، لأزيدنكم نعمة على نعمة. وهذا الخطاب، وإن كان لبني إسرائيل، يعم جميع الخلق، والزيادة إما من خير الدنيا، أو ثواب الآخرة. وشكر الخواص يكون على السراء والضراء فتكون الزيادة في الضراء، إما في الثواب أو في التقريب. ثم ذكر ضده فقال: ولئن كفرتم ما أنعمت به عليكم، وقابلتموه بالكفر والعصيان، إن عذابي لشديد فأعذبكم به على كفركم. قال البيضاوي: ومن عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد. هـ. فصرح بوصول الزيادة إليهم، ولم يقل: أعذبكم عذابا شديدا، بل عظم عذابه في الجملة.وقال موسى، في شأن من لم يشكر: إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا من الثقلين، فإن الله لغني عن شكركم، حميد: محمود على ألسنة خلقه، من الملائكة وغيرهم. فكل ذرة من المخلوقات ناطقة بحمده حالا أو مقالا، فهو غني أيضا عن حمدكم، فما ضررتم بالكفر إلا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الإنعام، وعرضتموها لشديد الانتقام. وبالله التوفيق.الإشارة: ذكر الحق تعالى في هذه الآية مقامين من مقامات اليقين: الصبر والشكر، ومدح من تخلق بهما واستعملهما في محلهما، فيركب أيهما توجه إليه منهما، ويسير بهما إلى ربه. فالصبر عنوان الظفر، وأجره لا ينحصر، والشكر ضامن للزيادة، قال بعض العارفين: (لم يضمن الحق تعالى الزيادة في مقام من المقامات إلا الشكر) ، فدل أنه أفضل المقامات وأحسن الطاعات، من حيث إنه متضمن للفرح بالله، وموجب لمحبة الله. ولا شك أن مقام الشكر أعلى من مقام الصبر لأن الشاكر يرى المنن في طي المحن، فيتلقى المهالك بوجه ضاحك لأنه لا يكون شاكرا حقيقة حتى يشكر في السراء والضراء، ولا يشكر في الضراء حتى يراها سراء، باعتبار ما يواجه به في حال الضراء من الفتوحات القلبية، والمواهب اللدنية، فتنقلب النقمة نعمة. بخلاف مقام الصبر، صاحبه يتجرع مرارة الصبر لأنه لم يترق إلى شهود المبلي في حال بلائه، ولو ترقى إلى شهوده للذت لديه البلايا، كما قال صاحب العينية:تلذ لي الآلام إذ كنت مسقمي ... وإن تختبرني فهي عندي صنائع." (٢)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٤/٣

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٥/٣

"يقول الحق جل جلاله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ولا تمدن عينيك أي: لا تطل نظرهما، بطريق الرغبة والميل إلى ما متعنا به من زخارف الدنيا أزواجا منهم أي: أصنافا من الكفرة، والمعنى: لا تنظر إلى ما أعطيناه أصناف الكفرة من زخارف الدنيا الغرارة، ولا تستحسن ذلك، فإنه فان، وهو من زهرة الحياة الدنيا أي: بهجتها، ثم يفنى ويبيد، كشأن الزهر، فإنه فائق المنظر، سريع الذبول والذهاب.متعناهم بذلك، وأعطيناهم الأموال والعز في الدنيا لنفتنهم فيه أي: لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم، هل يقومون بشكره فيؤمنوا بك، ويصرفوه في الجهاد معك، وينفقوه على من آمن معك.. أم لا؟ أو لنعذبهم في الآخرة بسببه، فلا تهتم بذلك. ورزق ربك أي: ما ادخر لك في الآخرة خير، أو: ورزقك في الدنيا من الكفاف مع الهدى، خير مما منحهم في الدنيا، لأنه مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه، فعاقبته الحساب والعقاب. وأبقى فإنه لا ينقطع نفسه أو أثره، بخلاف زهرة الدنيا، فإنها فانية منقطعة.فالواجب: الاشتغال بما يدوم ثوابه، ولذلك قال له صلى الله عليه وسلم: وأمر أهلك بالصلاة، أمره بأن يأمر أهل بيته، أو التابعين له من أمته، بالصلاة، بعد ما أمر هو بقوله: (وسبح بحمد ربك) على ما مر ليتعاونوا على الاستعانة على الخصاصة، ولا يهتموا بأمر المعيشة، ولا يلتفتوا لغنى أرباب الثروة. واصطبر عليها وتكلف الصبر على مداومتها، غير ملتفت لأمر المعاش، لا نسئلك رزقا أي: لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك، نحن نرزقك وإياهم، ففرغ قلبك لمشاهدة أسرارنا، والعاقبة المحمودة للتقوى أي: لأهل التقوى.روي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضر أو خصاصة أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية «١» . والله تعالى أعلم.الإشارة: ما خوطب به نبينا صلى الله عليه وسلم خوطب به خاصة أمته، فلا تمدن عينيك، أيها الفقير، إلى ما متع به أهل الدنيا، من زهرتها وبهجتها، بل ارفع همتك عن النظر إليها، واستنكف عن استحسان ما شيدوا وزخرفوا، فإن ذلك حمق وغرور. كان عروة بن الزبير رضي الله عنه إذا رأى أبناء السلاطين وشاراتهم دخل داره وتلا: (ولا تمدن عينيك) ...الآية. وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لعلماء زمانه: يا علماء السوء دياركم هامانية، ومراكبكم قارونية، وملابسكم فرعونية، فأين السنة المحمدية؟.ولا تشتغل بطلب رزق، فرزق ربك- وهو ما يبرز لك في وقتك من عين المنة، من غير سبب ولا خدمة- خير وأبقى، أما كونه خيرا فلما يصحبه من اليقين **والفرح بالله** وزيادة المعرفة، وأما كونه أبقى لأن خزائنه لا تنفد،______________(١) أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان (باب فى الصبر، ح ٩٧٠٥) ، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٧٦) من حديث عبد الله بن سلام.وعزاه الهيثمي فى مجمع الزوائد (٧/ ٦٧) للطبراني فى الأوسط، من حديث ابن سلام، وقال: رجاله ثقات.." (١)

"ليعلموا بأن الله هو الحق. وقال القرطبي: قوله: ذلك بأن الله هو الحق، لما ذكر افتقار الموجودات إليه، وتسخيرها على وفق اقتداره واختياره، قال بعد ذلك: ذلك بأن الله هو الحق، نبه بهذا على أن كل ما سواه، وإن كان موجودا فإنه لا حقيقة له من نفسه لأنه مسخر ومصرف، والحق الحقيقي هو الموجود المطلق، الغني المطلق، وإن وجود كل موجود من وجوب وجوده، ولهذا قال في آخر السورة: وأن ما يدعون من دونه هو الباطل «١» ، والحق هو الوجود الثابت، الذي لا يزول ولا يتغير، وهو الله تعالى. ثم قال عن الزجاج: (ذلك) في موضع رفع، أي: الأمر ما وصف لكم وبين لأن الله تعالى هو الحق، ويجوز كونه في موضع نصب، أي: فعل ذلك بأن الله هو الحق، قادر على ما أراد. هـ.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٤٣٦

وذلك أيضا شاهد بأنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض، مرة بعد أخرى، وأنه على كل شيء قدير أي: مبالغ في القدرة، وإلا لما أوجد هذه الموجودات الفائتة الحصر. وتخصيص إحياء الموتى بالذكر، مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع، وللطعن في نحور المنكرين. وأن الساعة آتية: قادمة عليكم، لا ريب فيها، وإيثار اسم الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق إتيانها وتقريره ألبتة. ومعنى نفي الريب عنها: أنها، في ظهور أمرها ووضوح دلائلها، بحيث ليس فيها مظنة الريب، وأن الله يبعث من في القبور لأنه تعالى حكم بذلك ووعد به، وهو لا يخلف الميعاد، والتعبير ب «من في القبور» : خرج مخرج الغالب، وإلا فهو يبعث كل من يموت. والله تعالى أعلم وأحكم.

الإشارة: يا أيها الناس المنكرون لوجود التربية النبوية، وظهور أهل الخصوصية في زمانهم، الذين يحيي الله الأرواح الميتة، بالجهل والغفلة، على أيديهم إن كنتم في ريب من هذا البعث فانظروا إلى أصل نشأتكم وتنقلات أطواركم، فمن فعل ذلك وقدر عليه، قدر أن يحيي النفوس الميتة بالغفلة في كل زمان. وفي الحكم: «من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية، وكان الله على كل شيء مقتدرا» . وجرت عادته أنه لا يحييها في الغالب إلا على أيدي أهل الخصوصية. وترى أرض النفوس هامدة ميتة بالغفلة، فإذا أنزلنا عليها ماء الحياة، وهي الواردات الإلهية، وأسقيناها الخمرة القدسية، اهتزت **فرحا بالله**، وربت، وارتفعت بالعلم بالله، وأنبتت من أصناف العلوم والحكم، ما تبهج منه العقول، ذلك شاهد بوحدانية الحق، وأن ما سواه باطل. وبالله التوفيق.

---

(١) من الآية ٦٢ من سورة الحج.." (١)

"فالفرح المحمود على ضربين: **فرح بالله** عز وجل، وفرح بفضل الله ورحمته، فالفرح بفضل الله ورحمته ذكر النفس معه، **والفرح بالله** قد غاب ذكر النفس معه، **والفرح بالله** قد غاب ذكر النفس في ذكر مولاه، فقال عز وجل في تنزيله: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا)، وقال تعالى فيما روي: (قلللصديقين بي فافرحوا، وبذكرى فتنعموا). وإنما يفرح بذكر الله عز وجل وحين يرى منته عليه، وإنما **يفرح بالله** عز وجل من وصل إلى الله عز وجل، ومن كان مرعاه بين يديه في ملك من ملكه، والواصلون إلى قرب الله عز وجل مرعاهم تحت العرش في محل القربة.فالأكياس صاروا إلى الله عز وجل في هذا الطريق، وتوقوا كل فرح، فما فرحوا بشيء من الدنيا، أو بشيء من أعمال البر، وقالوا: إنما فساد قلوبنا من فرح النفس، لأن النفس إذا فرحت بشيء استولت على القلب، فلم ينفذ له شيء، فليس بنا التمييز بين الأعمال، لأنا لا نسير إلى الله تعالى بالأعمال، إنما نسير إليه القلوب نزاهة وطهارة، فإنما يدنس القلب بأفراح النفس؛ وصار القلب محجوباً عن الله عز وجل، فكانوا يصونون قلوبهم عن الفرح بكل شيء دق أو جل، للضرر الذي يحدث عنه، ومن جهل هذا الباب توقى الحرام والشبهة، وانكمش في أعمال البر، فهو في الظاهر عامر، وفي الباطن خراب، لأن النفس شاركت القلب في تدبير

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥١٤/٣

العمل، فإذا شاركت أخذت نصيبها، والهوى مقرون بالنفس، فلا يتخلص العمل لصاحبه أبداً، وإنما صار هذا هكذا،." (١)

"فطريقهذا العبد إلى دار السلام، ليس له وراء هذا مسلك. وأما الذي راض نفسه وأدبها، ومنعها اللذات والشهوات، حتى طهر قلبه، واستوجب القربة بطهارة قلبه، وآثر **الفرح بالله** على الفرح بما أورده الهوى على نفسه من أفراح الدنيا، فتح الله عز وجل له طريقاً إليه، فسار سيراً لم يلتفت إلى دار السلام، لأنه لما أخذ في الرياضة أخذه بصدق، فلم يقف في الطريق على شيء مفروح به، ولو كان أسنى عمل من الأعمال، لأنه إذا توقى الفرح بلذات الدنيا وشهواتها، أمد القلب بالنور، وهان عليه رفض الشهوات، حتى إذا انكمش في أعمال البر، فرح القلب بتلك الأعمال، فينبغي له أن يتوقى تلك الأفراح أيضاً، وينتقل من عمل إلى عمل، ليقطع عن النفس فرحها بذلك العمل، لأنها إذا فرحت بعمل من أعمال البر، اطمأنت إلى ذلك العمل، فإذا اطمأنت إلى شيء دون الله عز وجل، فقد سيره إليه، ووقف على ذلك العمل، فاقتضى منه صدق ذلك العمل، فلم يوجد عنده صدقة، لأن النفس تأخذ بحظها من ذلك العمل، وهو أن تجد حلاوة حب الثناء والمدحة لذلك العمل،." (٢)

"فعمال الله عز وجل ثلاثة أصناف، عامل يعمل على الترائي، فلا يترك زينة، ولا مبادرة، ولا سرعة، ولا خفة يد، ولا طهارة، ولا تعظيماً، ولا وجازة، ولا مسابقة إلا جاء بها، يريد أن يتحلى بذلك عند مولاه عز وجل، وعامل ليس له هذا الترائي، وهو محجوب القلب عنه بالشهوات، صادق في ابتغاء مرضاته، ذاكر للعرض عليه، فلا يتزين، ولا يبادر، ولا يعظم، ولا يسارع، ولا يوجز، ولا يسابق، ولكنه يعمل على الأحكام وحفظ الحدود، وإتمام الأمر بالأركان. وعامل لا يذكر رؤية ربه عز وجل أنه ناظر إليه في هذا العمل، ولا هو ذاكر لعرض الأعمال يوم القيامة، فهو يعمل على الغفلة على التجويز، فإنما يعمل كل صنف منهم علة نوره الذي في صدره.فجملة ما وصفنا من أمر السير إلى الله تعالى أن يتقى فرح النفس، أن يتركها حتى تفرح بشيء من أحوالها، أو بتناولها من الدنيا وأعمال البر، كلما ظهر فرحها نغص عليها بالمنع لها، والانتقال عنه حتى يملأ غماً، فيذوب الفرح الذي يتأدى إلى القلب، ويظهر النور، ويظهر في ذلك النور **الفرح بالله** عز وجل، لأن ذاك النور يؤديه إلى صفات الله عز وجل، وإلى عظمته وجلاله، وجماله وكبريائه، وبهائه وسؤدده، وكمه وجوده، وبره ولطفه، ومننه وإحسانه ورحمته؛." (٣)

"فلساً وعنده كيس من دراهم. فالأول هو غنى بالمال، والثاني غنى بربه ومليكه، فالأول فرح بالمال والأحوال، والثاني **فرح بالله**، ثم بفضله ورحمته، عامة ملجئه ومفزعه إلى الله عز وجل، فالأول قلبه مأسور بالأشياء، قد ملكته حلاوة الأشياء، والثاني سكن قلبه حلاوة قرب الله عز وجل، فالأول قلبه بالأشياء، وبالأشياء تعلقه؛ والثاني مشتغل بالله وإليه منيب، وبه متعلق.ومما يحقق عندنا حال هذا الثاني، ما أتت به الأخبار عن رسول الله صلى اللهعليه وسلم، وعن السلف الصالح من

---

(١) رياضة النفس، الترمذي، الحكيم ص/٤٥

(٢) رياضة النفس، الترمذي، الحكيم ص/٥٢

(٣) رياضة النفس، الترمذي، الحكيم ص/٦٣

بعده، حدثونا به عن ابن المبارك، عن صالح المري، عن حبيب أبي محمد، وهو العجمي رحمه الله، عن شهر بن حوشب، عن أبي ذر رضي الله عنه ولم يرفعه؛ وأما غير ابن مبارك فرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يقول الله تبارك وتعالى لجبريل عليه السلام: يا جبريل، انسخ من قلب العبد الحلاوة التي كان يجدها بي، فينسخها من قلبه، فيصير العبد والهاً.." (١)

"٤٣٣ – أخبرنا أبو سعيد الماليني، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسن قال: سمعت جامع بن أحمد الخزاف قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: " ﷺالعارفون رجلان: رجل مسرور بأنه عبده، ورجل مسرور بأنه عرفه، فالأول **يفرح بالله** من نفسه لنفسه، والآخر **يفرح بالله** لله " وقال: " هذا سرور الخبر فكيف سرور النظر "." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون)قال تعالى: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ [غافر:٧٥].أي: ذلك العذاب، وتلك السلاسل والأغلال، وذلك السحب إلى جهنم، وذلك الشراب من الحميم، ﴿بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق﴾ [غافر:٧٥].فتجد الكافر في أغلب الأحيان إن كان صحيح البدن، مكفيا في عيشه، يضحك وكأن شيئا لم يكن، وكأنه ليس أمامه نار ولا عذاب ولا قيامة ولا محاسبة، فهو فرحان بكفره، وبشركه، وبأنه لم يكلف نفسه كما يعذب المسلم نفسه بالصلاة والصيام وهذا حلال وهذا حرام، فهم يضحكون علينا، ويستبعدون العذاب، ولسان حالهم: وما يهلكنا إلا الدهر، كما قال الكفرة الذين سبقوهم، فهم رجعيون رجعوا لأولئك السابقين، ففرحوا بالكفر ومرحوا به وسرحوا، وأخذهم البطر والأشر والتكبر والتعالي بأنهم كافرون، وظنوا أنما أتوا به هو خير لهم، وظنوا أنهم يحسنون صنعا.فهم قردة لا يملكون عقلا ولا سمعا ولا بصرا، فهم غارقون في الضلالة، والفساد، وكأنهم يضحكون على أنفسهم وعلى مستقبلهم وهم لا يشعرون.أما **الفرح بالله**، والفرح بالحق، والفرح بدين الإسلام، والفرح بكوننا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فذلك فرح بحق، وذاك مما يزيد المؤمن إيمانا، والعابد إخلاصا، والمطيع طاعة، وإنما عاب الله عن هؤلاء؛ لأنهم يفرحون في دنياهم بالباطل، وبالكفر، وبالشرك، وبالظلم، وبالاعتداء على الخلق.وقوله: ﴿وبما كنتم تمرحون﴾ [غافر:٧٥] المرح: البطر والأشر، وهو الوصول بالفرح إلى درجة خفة العقل بالرقص والحركات؛ لأنهم وجدوا أنفسهم فيما يظنون أنهم غير مكلفين، فينامون متى شاءوا، ويعملون متى شاءوا، فلا صلاة عليهم ولا تثريب عليهم، ولا يقولون: خرجنا لهذا العالم لطاعة الله وأنبيائه، أو عمل شيء، بل ظنوا أنهم خرجوا لهذه الدنيا عبثا، وهيهات هيهات! أن يخلق الله شيئا عبثا، كل شيء خلقه بحكمة وبإرادة، وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، فإذا ابتعدوا عن هذه الغاية من خلقهم، وهي عبادتهم لله ضلوا وأضلوا، واستوجبوا لعنة الله وعذابه وخلودهم في النار يوم القيامة.." (٣)

---

(١) أدب النفس، الترمذي، الحكيم ص/٣٠

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، أبو بكر ٢٦/٢

(٣) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٨/٢٩٥

" الوراق قال حدثنا حماد بن مسعدة قال حدثني زياد أبو عمرو قال حدثني محمد بن إبراهيم القرشي عن أبيه قال كنت جالسا عند ابن عمر فسئل عن القدر فقال شيء أراد الله ألا يطلعكم عليه فلا تريدوا من الله ما أبى عليكم

١٢٨١ – حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عبد الله بن شهاب قال أنبأ عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال حدثنا جعفر يعني ابن برقان عن ميمون بن مهران قال ثلاث أرفضوهن ما شجر بين أصحاب رسول الله والنجوم والنظر في القدر

١٢٨٢ – حدثنا ابن أبي حازم الكوفي قال سمعت أبا محمد الإسكاف يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من أحب أن **يفرح بالله** ويتمتع بعبادة الله فلا يسألن عن سر الله يعني القدر

قال الشيخ رضي الله عنه فإن قال قائل قد رويت هذه الأحاديث في الإمساك عن الكلام في القدر والنظر فيه ومع هذا فقد روى عن رسول الله ." (١)

" وأما نسيان الجناية فهذا موضع تفصيل فقد اختلف فيه أرباب الطريق

فمنهم من رأى الإشتغال عن ذكر الذنب والإعراض عنه صفحا فصفاء الوقت مع الله تعالى أولى بالتائب وأنفع له ولهذا قيل ذكر الجفا في وقت الصفا جفا

ومنهم من رأى أن الأولى أن لا ينسى ذنبه بل لا يزال جاعلا له نصب عينيه يلاحظه كل وقت فيحدث له ذلك انكسارا وذلا وخضوعا أنفع له من جمعيته وصفاء وقته

قالوا ولهذا نقش داود الخطيئة في كفه وكان ينظر إليها ويبكي

قالوا ومتى تهت عن الطريق فارجع إلى ذنبك تجد الطريق

ومعنى ذلك أنك إذا رجعت إلى ذنبك انكسرت وذللت وأطرقت بين يدي الله عز و جل خاشعا ذليلا خائفا وهذه طريق العبودية

والصواب التفصيل في هذه المسألة وهو أن يقال إذا أحس العبد من نفسه حال الصفاء غيما من الدعوى ورقيقة من العجب ونسيان المنةوخطفته نفسه عن حقيقة فقره ونقصه فذكر الذنب أنفع له وإن كان في حال مشاهدته منة الله عليه وكمال افتقاره إليه وفنائه به وعدم استغنائه عنه في ذرة من ذراته وقد خالط قلبه حال المحبة **والفرح بالله** والأنس به والشوق إلى لقائه وشهود سعة رحمته وحلمه وعفوه وقد أشرقت على قلبه أنوار الأسماء والصفات فنسيان الجناية والإعراض عن الذنب أولى به وأنفع فإنه متى رجع إلى ذكر الجناية توارى عنه ذلك ونزل من علو إلى أسفل ومن حال إلى حال بينهما من التفاوت أبعد مما بين السماء والأرض وهذا من حسد الشيطان له أراد أن يحطه عن مقامه وسير قلبه في ميادين المعرفة والمحبة والشوق إلى وحشة الإساءة وحصر الجناية

والأول يكون شهوده لجنايته منة من الله من بها عليه ليؤمنه بها من مقت ." (٢)

---

(١) الإبانة – ابن بطة، ١/٢٤٣

(٢) مدارج السالكين، ١/٢٠٢

" مؤهلة لقربه وموالاته أو نفس ممتحنة مبتلاة بأصناف البلايا والمحن

فطريق الرضى والمحبة : تسير العبد وهو مستلق على فراشه فيصبح أمام الركب بمراحل وثمرة الرضى : الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى

ورأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى المنام وكأني ذكرت له شيئامن أعمال القلب وأخذت في تعظيمه ومنفعته لا أذكره الآن فقال : أما أنا فطريقتي **الفرح بالله** والسرور به أو نحو هذا من العبارة

وهكذا كانت حاله في الحياة يبدو ذلك على ظاهره وينادي به عليه حاله لكن قد قال الواسطي : استعمل الرضى جهدك ولا تدع الرضى يستعملك فتكون محجوبا بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع

وهذا الذي أشار إليه الواسطى هو عقبة عظيمة عند القوم ومقطع لهم فإن مساكنة الأحوال والسكون إليها والوقوف عندها : استلذاذا ومحبة : حجاب بينهم وبين ربهم بحظوظهم عن مطالعة حقوق محبوبهم ومعبودهم وهي عقبة لا يجوزها إلا أولو العزائم وكان الواسطي كثير التحذير من هذه العقبة شديد التنبيه عليها ومن كلامه : إياكم واستحلاء الطاعات فإنها سموم قاتلة

فهذا معنى قوله : استعمل الرضى جهدك ولا تدع الرضى يستعملك أي لا يكون عملك لأجل حصول حلاوة الرضى بحيث تكون هي الباعثة لك عليه بل اجعله آلة لك وسببا موصلا إلى قصدك ومطلوبك فتكون مستعملا له لا أنه مستعمل لك

وهذا لا يختص بالرضى بل هو عام في جميع الأحوال والمقامات القلبية التي يسكن إليها القلب حتى إنه أيضا لا يكون عاملا على المحبة لأجل المحبة ." (١)

" فصل قوله وينبت السرور إلا ما يشوبه من حذر المكر يعني أن

هذا اللحظ من العبد ينبت له السرور إذا علم أن فضل ربه قد سبق له بذلك قبل أن يخلقه مع علمه به وبأحواله وتقصيره على التفصيل ولم يمنعه علمه به أن يقدر له ذلك الفضل والإحسان فهو أعلم به إذ أنشأه من الأرض وإذ هو جنين في بطن أمه ومع ذلك فقدر له من الفضل والجود ما قدره بدون سبب منه بل مع علمه بأنه يأتي من الأسباب ما يقتضي قطع ذلك ومنعه عنه

فإذا شاهد العبد ذلك اشتد سروره بربه وبمواقع فضله وإحسانه وهذا فرح محمود غير مذموم قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ففضله الإسلام والإيمان ورحمته العلم والقرآن وهو يحب من عبده أن يفرح بذلك ويسر به بل يحب من عبده أن يفرح بالحسنة إذا عملها وأن يسر بها وهو في الحقيقة فرح بفضل الله حيث وفقه الله لها وأعانه عليها ويسرها له ففي الحقيقة إنما يفرح العبد بفضل الله وبرحمته

---

(١) مدارج السالكين، ٢/١٧٦

ومن أعظم مقامات الإيمان **الفرح بالله** والسرور به فيفرح به إذ هو عبده ومحبه ويفرح به سبحانه ربا وإلها ومنعما ومربيا أشد من فرح العبد بسيده المخلوق المشفق عليه القادر على مايريده العبد ويطلبه منه المتنوع في الإحسان إليه والذب عنه

وسيأتي عن قريب إن شاء الله تمام هذا المعنى في باب السرور

قوله إلا ما يشوبه من حذر المكر أي يمازجه فإن السرور والفرح يبسط النفس وينسيها وينسبها عيوبها وآفاتها ونقائصها إذ لو شهدت ذلك وأبصرته لشغلها ذلك عن الفرح ." (١)

" فالمطلق جاء في الذم كقوله تعالى لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وقوله إنه لفرح فخور

والمقيد نوعان أيضا مقيد بالدنيا ينسي صاحبه فضل الله ومنته فهو مذموم كقوله حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون

والثاني مقيد بفضل الله وبرحمته وهو نوعان أيضا فضل ورحمة بالسبب وفضل بالمسبب فالأول كقوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والثاني كقوله فرحين بما آتاهم الله من فضله

فالفرح بالله وبرسوله وبالإيمان وبالسنة وبالعلم وبالقرآن من أعلى مقامات العارفين قال الله تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون

وقال والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك

فالفرح بالعلم والإيمان والسنة دليل على تعظيمه عند صاحبه ومحبته له وإيثاره له على غيره فإن فرح العبد بالشيء عند حصوله له على قدر محبته له ورغبته فيه فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله له ولا يحزنه فواته

فالفرح تابع للمحبة والرغبة

والفرق بينه وبين الاستبشار أن الفرح بالمحبوب بعد حصوله والاستبشار يكون به قبل حصوله إذا كان على ثقة من حصوله ولهذا قال تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم

والفرح صفة كمال ولهذا يوصف الرب تعالى بأعلى أنواعه وأكملها كفرحه بتوبة التائب أعظم من فرحة الواجد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة بعد فقده لها واليأس من حصولها

والمقصود أن الفرح أعلى أنواع نعيم القلب ولذته وبهجته والفرح والسرور نعيمه والهم والحزن عذابه والفرح بالشيء فوق الرضى به فإن الرضى ." (٢)

" الوراق قال حدثنا حماد بن مسعدة قال حدثني زياد أبو عمرو قال حدثني محمد بن إبراهيم القرشي عن أبيه قال كنت جالسا عند ابن عمر فسئل عن القدر فقال شيء أراد الله ألا يطلعكم عليه فلا تريدوا من الله ما أبى عليكم

---

(١) مدارج السالكين، ١٠٦/٣

(٢) مدارج السالكين، ١٥٨/٣

١٢٨١ - حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عبد الله بن شهاب قال أنبأ عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال حدثنا جعفر يعني ابن برقان عن ميمون بن مهران قال ثلاث أرفضوهن ما شجر بين أصحاب رسول الله والنجوم والنظر في القدر

١٢٨٢ - حدثنا ابن أبي حازم الكوفي قال سمعت أبا محمد الإسكاف يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من أحب أن **يفرح بالله** ويتمتع بعبادة الله فلا يسألن عن سر الله يعني القدر

قال الشيخ رضي الله عنه فإن قال قائل قد رويت هذه الأحاديث في الإمساك عن الكلام في القدر والنظر فيه ومع هذا فقد روى عن رسول الله ." (١)

"وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحا فاتهمه فإن الرب تعالى شكور(١)(٢).[إذا بادرت النفس إلى الطاعة طواعية...]وإذا ارتاضت نفس العبد على الطاعة وانشرحت بها وتنعمت بها وبادرت إليها طواعية ومحبة كان أفضل ممن يجاهد نفسه على الطاعات ويكرهها عليها، وهو قول الجنيد وجماعة من أهل البصرة(٣).[**الفرح بالله**، ودخول جنته في الدنيا. جنة ابن تيمية وطيب حياته...]قال ابن القيم رحمه الله: ورأيت شيخ الإسلام -قدس الله روحه- في المنام وكأني ذكرت له شيئا من أعمال القلوب. وأخذت في تعظيمه ومنفعته -لا أذكره الآن- فقال: أما أنا فطريقتي: **الفرح بالله** والسرور به أو نحو هذا من العبارة.وهكذا كانت حاله في الحياة يبدو ذلك على ظاهره، وينادي به عليه حاله(٤).وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا.وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله.وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه. ________(١) مدارج جـ٢/٦٨ وللفهارس جـ١/١٩١.(٢) قال ابن القيم: يعني أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة وانشراحا وقرة عين فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول.(٣) اختيارات ٥٨ وللفهارس جـ١/١٩١.(٤) مدارج جـ٢/١٠٤ وللفهارس جـ١/١٩١.." (٢)

"وتكفير المعين من هؤلاء ومن منكري بعض الصفات يتوقف على تحقق شروط وانتفاء موانع ... ١٣٩«الذي قال لأهله: إذا أنا مت فحرقوني» ... ١٣٩الأسباب لا تنكر، لكن هنا ثلاثة أمور ... ١٤٠الدعاء من أعظم الأسباب. غلط من قال: لا فائدة فيه، أو أنه عبادة محضة، أو علامة على حصول المطلوب ... ١٤٠، ١٤١لا يستقل بالتأثير إلا الله ... ١٤١المنطقيين ابن تيمية فساده، وعوجه وتعويجه، وتخبيطه للأذهان ... ١٤٢السلوك، أو التصوفما لا بد للسالك والعارف

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة، ٣/٢٤٣

(٢) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٣١

منه ... ١٤٣ابن تيمية يستقل علمه وعمله. ظهور ذله وانكساره وافتقاره واعتماده على ربه ... ١٤٣، ١٤٤الصبر. صبر يوسف عن مطاوعتها أعظم من صبره على ما فعله به إخوته ... ١٤٤الصبر على أداء الطاعة أعظم أنواع الصبر ... ١٤٥الصبر واليقين ... ١٤٥كيف تواجه العوارض والمحن؟ ... ١٤٥التوبة العامة والتوبة المجملة ... ١٤٥الجمع بين الرضا والرحمة أكمل ... ١٤٦الخوف والرجا لا يغلب أحدهما. والرجا بالنظر إلى سبق الرحمة، والخوف بالنظر إلى التفريط ... ١٤٧الخوف المحمود ... ١٤٧توبة مملوك هارب من أستاذه ... ١٤٧، ١٤٨توبة من عاوض معاوضة محرمة وقبض ... ١٤٨التوبة النصوح وإذا تاب ثم عاد. ومن ختم له بسوء فما السبب؟ ... ١٤٨، ١٤٩تصح التوبةمن ذنب مع الإصرار على آخر ... ١٥٠معنى حجز التوبة عن المبتدع ... ١٥٠هل يعود التائب إلى درجته قبل الذنب، أولا، أو أرفع ... ١٥١الاستقامة ... ١٥٢إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك ... ١٥٣إذا بادرت النفس إلى الطاعة طواعية ... ١٥٣**الفرح بالله**، ودخول جنته في الدنيا ... ١٥٣جنة ابن تيمية وطيب حياته. وخلوته أحيانا ... ١٥٤، ١٥٥الفخر والبغي، والفخر بالإسلام والشريعة ... ١٥٥الغضب. وما يفعل الغضبانالحسد، ومد اليد واللسان، وإذا سمع الحاسد من يذم أو يمدح ... ١٥٥، ١٥٦الصمت ... ١٥٦اللباس والزي الذي يتخذه بعض النساك، من الفقراء، والفقهاء، والصوفية بحيث يصير شعارا ... ١٥٦ولبس بعضهم المرقع والمصبغ والصوف. وتقطيع الثوب ثم ترقيعه والمغالاة في الصوف ... ١٥٦، ١٥٧«من ترك جيد اللباس» ... ١٥٧." (١)

" ٤٥٩١ - (الزنا يورث الفقر) أي اللازم الدائم لأن الغنى من فضل الله والفضل لأهل **الفرح بالله** وبعطائه وقد أغنى الله عباده بما أحل لهم من النكاح من فضله فمن آثر الزنا عليه فقد آثر الفرح الذي من قبل الشيطان الرجيم على فضل ربه الرحيم وإذا ذهب الفضل ذهب الغنى وجاء العنا فالزنا موكل بزوال النعمة فإذا ابتلي به عبد ولم يقلع ويرجع فليودع نعم الله فإنها ضيف سريع الانفصال وشيك الزوال ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له ﴾ قال في شرح الشهاب : الفقر نوعان فقر يد وفقر قلب فيذهب شؤم الزنا بركة ماله فيمحقه لأنه كفر النعمة واستعان بها على معصية المنعم فيسلبها ثم يبتلى بفقر قلبه لضعف إيمانه فيفتقر قلبه إلى ما ليس عنده ولا يعطى الصبر عنه وهو العذاب الدائم وأخرج ابن عساكر من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أوحى الله إلى موسى يا موسى إني قاتل القاتلين ومفقر الزناة

(القضاعي) في مسند الشهاب قال العامري في شرحه : غريب (هب عن ابن عمر) بن الخطاب قال المنذري : فيه الماضي بن محمد وقال في الميزان : حديث منكر وإسناده فيه ضعيف ." (٢)

" ٤٨١٦ - (السلطان ظل الله في الأرض) تشبيه وقوله (يأوي إليه كل مظلوم من عباده) جملة مبينة إنما شبهه بالظل لأن الناس يستريحون إلى برد عدله من حر الظلم (فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جار (١) أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر) أي الوزر العظيم الشديد (وكان على الرعية الصبر) أي يلزمهم الصبر على جوره ولا

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢٠٠

(٢) فيض القدير، ٤/٧٢

يجوز لهم الخروج عليه إلا إن كفر ثم إنه لا منافاة بين فرض جوره وما اقتضاه مطلع الحديث من عدله لأن قوله السلطان ظل الله بيان لشأنه وأنه ينبغي كونه كذلك فإذا جار خرج عن كونه ظل الله فهو من قبيل ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ﴾ فرتب على الحاكم الوصف المناسب ونهاه عما لا يناسب أفاده الطيبي (وإذا جارت الولاة قحطت السماء) أي إذا ذهب العدل انقطع القطر فلم تنبت الأرض فحصل القحط لأن الوالي فاصل بين [ص ١٤٣] الحق والباطل فإذا ذهب الفاضل انقطعت الرحمة (وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي) لأن الزكاة تنميها والنمو بركة وإذا منعت الزكاة بقي المال بدنسه ولا بقاء للبركة مع الدنس وإذا ارتحلت البركة عن شيء هلك لأن نسله ينقطع (وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة) لأن الغنى من فضل الله والفضل لأهل **الفرح بالله** وبعطائه وبالمناكحة الشرعية يلتقي الزوجان على الفرح بما أعطاهم الله فمن زنا فقد آثر الفرح الذي من قبل العدو على الفرح الذي بفضل الله فأورثه الفقر (وإذا أخفرت الذمة أديل الكفار) لأن المؤمن عاهد الله بالوفاء بذمته فإذا أخفر نقض العهد وإذا نقض وهن عقد المعرفة لأن المعرفة مقرونة بالعهد معقودة به وبنقض العهد يخاف انحلال العقد وبالانحلال تذهب هيبة الإسلام ويقذف الوهن في القلوب

(الحكيم) الترمذي (والبزار) في مسنده وابن خزيمة عن ابن عمر قال الهيثمي : وفيه سعيد بن سنان أبو مهدي وهو متروك (هب) وكذا أبو نعيم والديلمي (عن ابن عمر) بن الخطاب وقضية صنيع المصنف أن البيهقي خرجه وسكت عليه والأمر بخلافه بل تعقبه بما نصه وأبو المهدي سعيد بن سنان ضعيف عند أهل العلم (٢) بالحديث انتهى وسعيد بن سنان هذا ضعفه ابن معين وغيره وقال البخاري : منكر الحديث وساق في الميزان من مناكيره هذا الحديث وجزم الحافظ العراقي بضعف سنده

---

(١) الجور نقيض العدل وضد القصد والحيف الجور والظلم وضع الشيء في غير موضعه وحينئذ فمعاني الثلاث متقاربة أي فالجمع بينها للإطناب

(٢) [في الأصل : " أهل العز " وهو خطأ مطبعي واضح . دار الحديث] ." (١)

" وأما الفخر بالنعم فهو أن يستطيل بها على الناس ويريهم أنه أعز منهم وأكبر فيركب أعناقهم ويستعبد قلوبهم ويستميلها إليه بالتعظيم والخدمة قال النعمان بن بشير إن للشيطان مصالي وفخوخا وإن من مصاليه وفخوخه البطش بنعم الله والكبر على عباد الله والفخر بعطية الله في غير ذات الله

فصل والفرق بين فرح القلب وفرح النفس ظاهر فإن **الفرح بالله** ومعرفته

ومحبته وكلامه من القلب قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك فإذا كان أهل الكتاب يفرحون بالوحي فأولياء الله وأتباع رسوله أحق بالفرح به وقال تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وقال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال أبو

---

(١) فيض القدير، ٤/١٤٢

سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله وقال هلال بن يساف فضل الله ورحمته الإسلام الذي هداكم إليه والقرآن الذي علمكم هو خير من الذهب والفضة الذي تجمعون وقال ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور المفسرين فضل الله الإسلام ورحمته القرآن فهذا فرح القلب وهو من الإيمان ويثاب عليه العبد فإن فرحه به يدل على رضاه به بل هو فوق الرضا فالفرح بذلك على قدر محبته فإن الفرح إنما يكون بالظفر بالمحبوب وعلى قدر محبته يفرح بحصوله له **فالفرح بالله** وأسمائه وصفاته ورسوله وسنته وكلامه محض الإيمان وصفوته ولبه وله عبودية عجيبة وأثر القلب لا يعبر عنه فابتهاج القلب وسروره وفرحه بالله وأسمائه وصفاته وكلامه ورسوله ولقائه أفضل ما يعطاه بل هو جل عطاياه والفرح في الآخرة بالله ولقائه بحسب الفرح به ومحبته في الدنيا فالفرح بالوصول إلى المحبوب يكون على حسب قوة المحبة وضعفها فهذا شأن فرح القلب وله فرح آخر وهو فرحه بما من الله به عليه علمه من معاملته والإخلاص له والتوكل عليه والثقة به وخوفه ورجائه به وكلما تمكن في ذلك قوى فرحه وابتهاجه وله فرحة أخرى عظيمة الوقع عجيبة الشأن وهي الفرحة التي تحصل له بالتوبة فإن لها فرحة عجيبة لا نسبة لفرحة المعصية إليها البتة فلو علم المعاصي إن لذة التوبة وفرحتها يزيد على لذة المعصية وفرحتها أضعافا مضاعفة لبادر إليها أعظم من مبادرته إلى لذة المعصية ." (١)

"**فالفرح بالله** وبرسوله وبالإيمان وبالسنة وبالعلم وبالقرآن من أعلى مقامات العارفين قال الله تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرونوقال والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليكفالفرح بالعلم والإيمان والسنة دليل على تعظيمه عند صاحبه ومحبته له وإيثاره له على غيره فإن فرح العبد بالشيء عند حصوله له على قدر محبته له ورغبته فيه فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله له ولا يحزنه فواتهفالفرح تابع للمحبة والرغبةوالفرق بينه وبين الاستبشار أن الفرح بالمحبوب بعد حصوله والاستبشار يكون به قبل حصوله إذا كان على ثقة من حصوله ولهذا قال تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهموالفرح صفة كمال ولهذا يوصف الرب تعالى بأعلى أنواعه وأكملها كفرحه بتوبة التائب أعظم من فرحة الواجد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة بعد فقده لها واليأس من حصولهاوالمقصود أن الفرح أعلى أنواع نعيم القلب ولذته وبهجته والفرح والسرور نعيمه والهم والحزن عذابه والفرح بالشيء فوق الرضى به فإن الرضطمأنينة وسكون وانشراح والفرح لذة وبهجة وسرور فكل فرح راض وليس كل راض فرحا ولهذا كان الفرح ضد الحزن والرضى ضد السخط والحزن يؤلم صاحبه والسخط لا يؤلمه إلا إن كان مع العجز عن الانتقام والله أعلمأهـ ﴿ مدارج السالكين حـ ٣ صـ ٩٧ ـ صـ ٩٩ ﴾قوله تعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوء لقومكما بمصر بيوتا ﴾ وقولهتعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾." (٢)

"قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد أن حكى الخلاف في هذا (والصواب التفصيل في هذه المسألة وهو أن يقال:- إذا أحس العبد من نفسه حال الصفاء غيماً من الدعوى، ورقيقة من العجب، ونسيان المنة وخطفته نفسه عن حقيقة فقره

---

(١) الروح، ص/٢٤٨

(٢) التفسير القيم لابن القيم، ٤٧٥/١

ونقصه فذكر الذنب أنفع للعبد، وإن كان في حال مشاهدته منة الله عليه وكمال افتقاره إليه وفنائه به وعدم استغنائه عنه في ذرةٍ من ذراته وقد خالط قلبه حال المحبة **والفرح بالله** والإنس به والشوق إلى لقائه وشهود سعة رحمته وحلمه وعفوه وقد أشرقت على قلبه أنوار الأسماء والصفات فنسيان الجناية والإعراض عن الذنب أولى به وأنفع فإنه متى ما رجع إلى ذكر الجناية توارى عنه ذلك، ونزل من علوٍ إلى أسفل ومن حال إلى حال بينهما تفاوت أبعد مما بين السماء والأرض وهذا من حسد الشيطان له، فإنه أراد أن يحطه عن مقامه وسير قلبه في ميادين المعرفة والمحبة والشوق إلى وحشة الإساءة وحصر الجناية) ا.هـ.٧١- ﴿ لو تاب الزاني حال الزنا ونزع ذكره أو تاب غاصب الأرض وخرج يخطو فيها للخلاص منها فهل نزع هذا وخروج هذا يكون إثماً أم ماذا يكون؟ ﴾قال ابن القيم رحمه الله تعالى (و الصواب:- أن هذا النزع و الخروج من الأرض." (١)

" ٤٣٥ - أخبرنا أبو سعيد الماليني ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسن قال : سمعت جامع بن أحمد الخزاف قال : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : العارفون رجلان رجل مسرور بأنه عبده و رجل مسرور بأنه عرفه فالأول **يفرح بالله** من نفسه لنفسه و الآخر **يفرح بالله** من الله لله و قال : هذا سرور الخبر فكيف سرور النظر ." (٢)

" وتعززوا بمن به يكتفون حلوا فلم يظعنوا واستوطنوا محلته فلم يرحلوا فهم الأولياء وهم العاملون وهم الأصفياء وهم المقربون أين يذهبون عن مقام قرب هم به آمنون وعزوا في غرف هم بها ساكنون جزاء بما كانوا يعملون قلثل ! هذا فليعمل العاملون

سمعت أبا عمرو العثماني يقول سمعت أبا الحسن الرازي يقول قال أبو سعيد الخزاز كل ما فاتك من الله سوى الله يسير وكل حظ لك سوى الله قليل وقال الناس في **الفرح بالله** على أربع طبقات إنما هو المعطى والمعطي والإعطاء والعطاء فمن الناس من فرح بالمعطي ومنهم من فرح بالمعطى وهو نفسه ومنهم من فرح بالإعطاء ومنهم من فرح بالعطاء فينبغي أن يكون فرحك في العطاء بالمعطي ولذتك في اللذات بخالق اللذات وتنعمك في النعم بالمنعم دون النعم لأن ذكر النعمة عند ذكر المنعم حجاب ورؤية النعمة عند رؤية المنعم حجاب

أسند الحديث فمن مسانيده

أخبرنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور القواس ثنا علي بن محمد المصري ثنا أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز البغدادي الصوفي ثنا عبدالله بن إبراهيم الغفاري ثنا جابر بن سليم عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم سوء الخلق شؤم وشراركم أسوؤكم خلقا ٥٧٨

أحمد النوري

ومنهم أبو الحسين أحمد بن محمد المعروف بالنوري أحد الأئمة له اللسان الجاري بالبيان الشافي عن أسرار المتوجهين إلى الباري لقي أحمد بن أبي الحواري وصحب سريا السقطي يعرف بابن البغوي

---

(١) التلخيص القيم، ص/٣٤

(٢) شعب الإيمان، ٣٧٣/١

سمعت عبدالمنعم بن حيان يحكي عن أبي سعيد الأعرابي محنته وغيبته عن إخوانه في أيام محنة غلام الخليل وأنه أقام بالرقة سنين متخليا عن الإيناس ثم عاد بعد المدة المديدة إلى بغداد وفقد أناسه وجلاسه ." (١)

"فالمطلق جاء في الذم كقوله سبحانه عن قارون: ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين (٧٦)﴾ [القصص: ٧٦].والمقيد نوعان:الأول: فرح مقيد بالدنيا، ينسي صاحبه فضل الله ورحمته فهو مذموم كما قال سبحانه: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤)﴾ [الأنعام: ٤٤].الثاني: فرح مقيد بفضل الله ورحمته، فهو محمود **كالفرح بالله** ورسوله، والفرح بالإيمان والسنة والقرآن كما قال سبحانه: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (٥٨)﴾ [يونس: ٥٨].والفرق بين الفرح والاستبشار، أن الفرح بالمحبوب بعد حصوله، والاستبشار يكون بالمحبوب قبل حصوله، إذا كان على ثقة من حصوله كما قال سبحانه: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٧٠)﴾ [آل عمران: ١٧٠].فالفرح أعلى وأعظم نعيم القلب ولذته وبهجته، والفرح والسرور نعيمه، والهم والحزن عذابه.والسرور: اسم لاستبشار جامع يظهر أثره على الوجه، فإنه تبرق منه أسارير الوجه.والاستبشار: مأخوذ من البشرى، والبشارة: أول خبر صادق سار، سميت بذلك لأنها تؤثر في بشرة الوجه بالنور والسرور.والبشرى نوعان:بشرى سارة .. وبشرى محزنة.فالأولى: تكسب الوجه نضرة وبهجة.والثانية: تكسبه سوادا، وعبوسا.والبشرى إذا أطلقت كانت للسرور، وإذا قيدت كانت بحسب ما تقيد به من." (٢)

"لذة وبهجة وسرور، فكل فرح راض، وليس كل راض فرحا.والفرح صفة كمال، ولهذا يوصف الرب جل جلاله بأعلى أنواعه وأكملها، كفرحه سبحانه بتوبة التائب أعظم من فرحة الواجد لراحلته، التي عليها طعامه وشرابه، في الأرض المهلكة، بعد فقده لها، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «لله أشد فرحا بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة» متفق عليه (١).والفرق بين فرح القلب، وفرح النفس ظاهر.فإن **الفرح بالله** ومعرفته ومحبته ومحبة كلامه ودينه من القلب كما قال الله سبحانه: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (٥٨)﴾ [يونس: ٥٨].فهذا فرح القلب وهو من الإيمان، ويثاب عليه العبد.والفرح يكون على قدر المحبة .. وعلى قدر المعرفة.**فالفرح بالله** وأسمائه وصفاته ورسوله وسنته وكلامه محض الإيمان وصفوته ولبه، وله عبودية عجيبة، وأثر في القلب لا يعبر عنه، والفرح بذلك أفضل ما يعطاه العبد، بل هو أجل عطاياه.والفرح في الآخرة بالله ولقائه، بحسب الفرح به، ومحبته في الدنيا.فهذا شأن فرح القلب.وله فرح آخر، وهو فرحه بما من الله به عليه من معاملته، والإخلاص له، والتوكل عليه، والثقة به، وحسن عبادته.وله فرحة أخرى عظيمة الشأن، وهي الفرحة التي تحصل له بالتوبة، فإن لها فرحة عجيبة لا نسبة لفرحة المعصية إليها البتة.وسر هذا الفرح، إنما يعلمه من علم سر فرح الرب تعالى بتوبة عبده أشد من فرح العبد الذي أضل راحلته

---

(١) حلية الأولياء، ٢٤٩/١٠

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٣٣٨/٢

في أرض فلاة ثم وجدها. ــــــــــــــــ(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩)، ومسلم برقم (٢٧٤٧)، واللفظ له.." (١)

"والأحزان، وسائرهم مخلِّطون بطَّالون لِعُمُرِهم غافلون .. عن الآخرة سكارى حيارى .. سكارى عن وعده ووعيده .. حيارى في سيرهم إليه وركض الليل والنهار بهم إلى الله تعالى، فهُمُ الذين يفزعون من غموم الدنيا ورين الذنوب المعذبة لقلوبهم في ظلمات سجون المعاصي إلى المرجاح تلهياً وتلعباً، يتفرَّجون ويتنشطون ويتلبسون ويلتمسون النزهة ونسِيمَها ولا يعلمون أن النزهة في نزاهة القلوب وتطهيرها من آفاتِ النفْسِ وخدعِها ورينِ الذنوب حتى يجدوا نسيمَ الملكوتِ وروْحَ قُربِ الله تعالى على قلوبهم في عاجل دنياهم .. روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (الإيمان حلوٌ نزه فنزهوا) (١)، فإذا التمس العبدُ هذه النزهة فهو نور على نور، والقلب مشحونٌ بالنور، والصدر مشرق بالنور، يعلم من ربه ويعلم ما مَنَّ به عليه ربُّه وهو عنه غَنِيٌّ ولكنه رحِمَه فمَنَّ عليه مما يرى عنده، فأيُّ فرَحٍ يتسع مع هذا الفرح في قلب!، وكيف يبقى في قلب فيه هذا **الفرح بالله** متسعٌ للفرح بالدنيا وأحوالها!، فالقلوب التي تعتورُها غمُومُ الآخرةِ هي نورانية تنفرج بتلك الأنوار التي يطالع بها الآخرة وعظيم الرجاء من عند الماجد الكريم، وأما القلوبُ التي تعتورُها ظُلماتُ المعاصي فهي قلوبٌ مُعذَّبةٌ ونفوسٌ لَقِسة (٢)، وجوارح كَسِلة، ــــــــــــــــ(١) لم أجد حديثاً بهذا النص، ولكن هناك حديث صحيح يشير لحلاوة الإيمان، وهو قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (ثلاث مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومَن أحبَّ عبداً لا يحبه إلا لله، ومَن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يُلقى في النار) رواه البخاري برقم (٢١) ومسلم برقم (٤٣) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه –.(٢) لقِسَة: أي خبيثة. أنظر لسان العرب لابن منظور ٦/ ٢٠٨.." (٢)

"أنواع الأمراض وعلاج القرآن لهاوالقلوب تصاب بنوعين من الأمراض: أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.الأول: أمراض الشبهات كما قال الله عز وجل: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ [البقرة:١٠].قال مجاهد وغيره: شك، فالمرض هنا: هو الشك، أي: عندهم شك في صدق القرآن وفي وعد الله عز وجل، وفي صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.والنوع الثاني من الأمراض: أمراض الشهوات، كما قال الله عز وجل آمرا أمهات المؤمنين وبالأولى نساء الأمة: ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ [الأحزاب:٣٢].فالمرض هنا هو مرض الشهوة؛ لأن المريض يضره ما لا يضر السليم، والسليم يدفع بصحته وسلامته أضعاف ما يمكن أن يتحمله المريض.فالقرآن يعالج أمراض الشبهات ويعالج أمراض الشهوات يعالج أمراض الشبهات بما فيه من أدلة قطعية وبراهين ساطعة، كما قال الله عز وجل: ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ [يس:٧٨ – ٧٩]، قيل: نزلت هذه الآية في أحد الكفار، أتى بعظمة بالية ففركها ونفخها وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (أويحيي هذا الله بعد أن رم؟ قال: نعم، ويدخلك النار).أي: بعد أن صار رميما وترابا قال: (نعم ويدخلك النار).ونزلت هذه الآية الكريمة: ﴿وضرب لنا مثلا

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢/١٣٤٠

(٢) منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين، عبد الكريم الحميد ص/٦٤

ونسي خلقه﴾ [يس:٧٨]، أي: نسي هذا الكافر الجاحد أن الله عز وجل خلق الإنسان ولم يكن قبل ذلك شيئا مذكورا، فالذي يأتي إلى عمارة أو إلى منزل ويقول: لو سقط هذا المنزل لا يستطيع أحد أن يقيمه مرة ثانية، لاتهمه الناس بالخبل؛ لأن الذي أقامه في المرة الأولى قادر ولا شك على إقامته في المرة الثانية، وهو أهون عليه، أي: أسهل عليه، وكل شيء هين على الله عز وجل: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ [لقمان:٢٨].فإماتة الخلق جميعا وإحياء الخلق جميعا سهل وهين على الله عز وجل، كإماتة نفس وإحياء نفس، فكل شيء هين على الله عز وجل.فعندما يسمع الإنسان هذه الآية الكريمة فإن أي شك في نفسه من البعث لا بد وأن يذهب، ولا بد أن يطمئن إلى صدق الله عز وجل: ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ [يس:٧٨ - ٧٩].أما علاج القرآن لأمراض الشهوات فيكون بالتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، فعندما نقرأ القرآن لا نجده يحدثنا عن المشاكل الحياتية اليومية التي نعيشها، بل يأتي على الدنيا فينسفها نسفا: ﴿أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان﴾ [الحديد:٢٠]، فالقرآن يأتي على الدنيا فينسفها نسفا ويصور لنا الآخرة أنها هي الحياة الباقية: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ [العنكبوت:٦٤].فعندما يسمع المسلم القرآن أو يقرأ القرآن لا بد أنه يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة، فإن حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير.فبذلك يعالج القرآن أمراض الشبهات وأمراض الشهوات؛ ولذلك عندما نستمع للقرآن نجد راحة في قلوبنا، ونجد اطمئنانا في نفوسنا؛ لأن القرآن يزيل الشبهات والشهوات من القلوب، وعندما تستريح القلوب من الشبهات والشهوات لا بد أن تطمئن، وأن تسعد **وتفرح بالله** عز وجل.قال الله عز وجل: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ [الحشر:٢١].فنسأل الله تعالى أن يوفقنا في هذا الشهر الكريم لتلاوة القرآن وتدبره، والاتعاظ بمواعظه، والقيام به بالليل، والعمل به بالنهار.أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.." (١)

"سلسلة شرح كتاب الفوائد [١١]من كمال الإيمان الاستغناء بالله عمن سواه، **والفرح بالله** تعالى وطاعته من غير التفات للدنيا وشهواتها مع الانكسار بين يدي الله اعترافا بالخطأ وإقرارا بالتقصير، وإن هذا الدين لينبني على قاعدتين هما الذكر والشكر، وهما متلازمان فمتى قام العبد بهما فقد أدى حق الله.." (٢)

"الأمل الكبير في الله عند المصائبثالثا: إذا أدلهمت عليك الخطوب، ونزلت بك الابتلاءات والمصائب، فكن دائما كبير الأمل في الله؛ لأن ربنا سبحانه وتعالى سيقول للمشكلة: كوني كذا، فلا تكون مشكلة، أو يقول لها: كوني أيتها المشكلة! سبب سعادة هذا الإنسان، فتكون كذلك، يعني: المرض والفقر وكثرة الابتلاءات والجار السيئ، كل هذه ظواهرها شر، مثلما قال سيدنا أبو ذر: إني أحب ثلاثة يا رسول الله! أحب المرض وأحب الموت، فهذه ظواهرها أنها سيئة، لكن

---

(١) مجالس رمضان - أحمد فريد، أحمد فريد ٣/٩

(٢) شرح كتاب الفوائد، عمر عبد الكافي ١/١١

ليست كذلك، فالمؤمن يقول: إن جعت رق قلبي، وإذا مرضت خف ذنبي، وإذا مت لقيت ربي، يعني: ترجم هذه الصور السيئة بالنسبة لنا إلى ترجمة إيمانية، مثل أحد الصحابة لما قطعوا له رجله قال: إن كنت قد أخذت فكم أبقيت؟ ولئن كنت ابتليت فكم عافيت؟ يعني: يا رب! إذا كنت أخذت قطعة فقد تركت قطعا، وإن كنت يا رب! ابتليت فقد عافيت كثيرا.إذا: فالمسلم يرى ما بقي عنده من نعم، وعندما يزن الأمور يجد عنده نعما كثيرة جدا، فهذه بعض الدلائل التي تشير أن العبد قد استغنى بالله عز وجل.فإذا استغنى الناس بالدنيا استغنى بالله، وإذا فرحوا بها **فرح بالله**، الناس تفرح بنجاح الولد أو البنت أو أن يجد شقة أو البنت تجد لها عملا فهذه المسائل إنما هي زائلة، والمسلم الحقيقي أو الصادق، فرحه بقربه من الله، فرحه بدرس علم، فرحه بصلاة جماعة، قيل: يا عمر بن الخطاب! ما أفضل الأعمال إليك؟ قال: صلاة جماعة، أكفى سهوها وأضمن أجرها، يعني: صلاة الجماعة فهي إن شاء الله مقبولة، وأضمن أجرها، لكن لو صليت وحدي فلا أضمن أجرها ولا آمن سهوها.." (١)

"الفرح والأنس بالله تعالقال المصنف رحمه الله تعالى: [وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله].لا بد أن **تفرح بالله** عز وجل؛ لأنه رزقك الإسلام؛ ولأنه لا توجد نعمة أكبر من نعمة الإسلام، وهذه نعمة لم نحافظ عليها حق الحفاظ، فهي نعمة لا تساويها نعمة، فالمال يأتي ويذهب، والجاه يأتي ويذهب، وأي شيء في الدنيا يضيع إلا الإيمان، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من أحب) فالله لا يعطي الدين إلا للذي يحبه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)، وليس معنى (يفقهه في الدين) أن يجعله عالما وشيخا كبيرا، ولكن التفقه في الدين هو أن يعرف المسلم ما الذي ينجيه والذي لا ينجيه؟ وأن يعرف المسلك الذي يوصله إلى الجنة، والمسلك الذي يهبط به إلى قعر النار والعياذ بالله.فالمسلم لا بد أن يضع نصب عينيه ما الذي ينجيه وما الذي يضيعه، فإذا عرف هذا، فإن الله اختار له الخير.قال المصنف رحمه الله تعالى: [وإذا أنسوا بأحبابهم، فاجعل أنسك بالله].مثلما تفرح بالجلسة مع الأحباب وتأنس بالجلوس معهم، فليكن أنسك بالله عز وجل، قال أهل العلم: إن الله اطلع على قلوب العباد، فوجد أشوق القلوب إليه قلب رسول الله صلى الله عليه سلم، فلم ينتظر إلى يوم القيامة لكي يريه وجهه، وإنما عجل له برحلة المعراج لكي يتشرف الحبيب برؤية الله عز وجل، لأنه اطلع على قلبه فوجده قلبا تواقا، فجعله يرى المعبود الذي يعبده، فأكرمه الله.وسيدنا موسى عليه السلام طلب رؤية الله عز وجل، ولكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يطلب رؤية الله عز وجل، قال: ﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾ [الأعراف:١٤٣]، والله تعالى يقول: ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ [الأعراف:١٤٤].أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يطلب أن يرى وجه ربه، ومؤكد أنه كان يتمنى ذلك، ولذلك قالوا: سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار، أي: أن الذي يخطط ويفكر ويتوقع ويعمل دراسة جدوى لمشروع يريد أن يقوم به، ولكن الله يريد شيئا آخر، فلا يحصل إلا ما أراده الله وليس ما خططه هذا العبد؛ لأن القدر له أسوار عالية لا يستطيع أحد أن يخترقها إلا بإذن الله وبقضائه وقدره.ولذلك سألوا سيدنا عمر

---

(١) شرح كتاب الفوائد، عمر عبد الكافي ٥/١١

عندما حصل الطاعون في الشام، قالوا: هل ندخل أم لا ندخل؟ فلم يجبهم عمر، فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا كان الطاعون في بلد وأنتم خارجها فلا تدخلوها، وإن كنتم داخلها فلا تخرجوا منها)، فاتضحت الصورة لسيدنا عمر، فقال: فلنرجع، فقال له بعضهم: أتفر من قدر الله يا أمير المؤمنين؟! فقال: نفر من قدر الله إلى قدر الله.فلا منجى من الله إلا إليه.ويجب أن يكون إيماننا في حالة من الازدياد، ولا يزداد الإيمان إلا بالتسليم الكامل لله عز وجل.وأضرب لكم مثالا: لو أن شخصا جلس في بيته لمدة ساعة، وسمع عشر مكالمات تلفونية، وفي كل مكالمة مشكلة مختلفة عن الأخرى تماما، فهذه مشكلة كبيرة وهذه مشكلة صغيرة وهكذا ولله في خلقه شئون، كيف يوزع كل هذه الأشياء؟ ورجل يقول لي: هل أنت ربنا؟ فأقول له: استغفر الله! أنا لست ربا، فيقول: أنت لن تحاسبني، فأقول له: ولماذا أحاسبك؟ فيقول: زوجتي للأسف تحضر محاضراتك في المسجد، فقلت له: ولماذا تقول للأسف؟ فقال: لقد ضيقت علي حياتي، فكلما تسمع كلمات منك تأتي وتريد أن تطبقها علي، وأنا لا أعرف الصلاة والصوم، فقلت له: وأنت أتيت إلي لكي تتشاجر معي أو تستوضح مني أو ماذا؟ وقال لي: وأنا أيضا أحب الجلسات اللطيفة وأريد أن أشرب كأسا من الخمر أو كأسين كل يوم، فقلت له: يكفي أنك رجل تحب الله ورسوله، فقال لي: من أين عرفت هذا؟ فقلت له: الذي يقول هذا الكلام الصريح لا يخاف من أحد ولا يخاف إلا من الله، وطالما أنك غير خائف مني فهذا دليل على أنك خائف من الله، فأخرج ورقة وقلما من جيبه وسألني عن مواعيد محاضراتي في المسجد.وأقسم بالله أن هذا الرجل في كل جمعة أراه في أول عمود في المسجد، ولا أحد يصل إلى أول العمود يوم الجمعة إلا الذي يأتي مبكرا في الساعة التاسعة صباحا، لأنه في الساعة العاشرة لا تجد مكانا داخل المسجد.فلو قلت له: دع زوجتك وشأنها، وتشاجرت معه، ربما نفر أكثر.أنت أحيانا تضطرك الظروف ليس لدرجة أنك تنافق الناس، ولكن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت لطيفة وعظيمة، والله لو كانت دعوة سيدنا الحبيب صلى الله عليه وسلم مثل بعض الأخوات المنقبات اللاتي يهاجمن النساء في كل مكان، لتوقفت الدعوة، تجد الواحدة من هؤلاء بمجرد أن ترى فتاة في الشارع وهي غير محجبة، فتسحبها من شعرها، وتقول: لابد أن تحتجب، وإن كانت هذه الفتاة تلبس قصيرا، ولكن هؤلاء لا يركزن إلا على النقاب، فلا بد من أسلوب في هذه المسائل.فالدعوة تحتاج إلى صبر وانشراح صدر، وتحمل في الله عز وجل.ولكن للأسف تجد بعض الشباب والشابات يأخذون بنصوص الأحاديث أو بمجرد أن يسمعوا محاضرة في مسجد أو من أي شيخ، فيعودون إلى بيوتهم ويخاطبون آباءهم بطريقة غير مؤدبة، فيقولون لهم: لقد سمعنا اليوم شيخا يتكلم عن النار وعذاب النار والمنافقين وصفات المنافقين، وأنتم لا تصلون الفجر ولا العشاء، فأنتم منافقون وستدخلون النار ولن تدخلوا الجنة.ولكن لماذا لا نتعلم من سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عندما قال: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ [مريم:٤٣ - ٤٤]، وأبوه يقول له: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾ [مريم:٤٦]، ولو أن أحدا في زماننا يقول لولده هكذا، لرد عليه ابنه وقال: والله لن تقدر! ولكن سيدنا إبراهيم لم يقل له هكذا، وإنما قال له: ﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا﴾ [مريم:٤٧]، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [الفرقان:٦٣]، فإذا كان المريض ليس عليه حرج، والذي غاب عنه عقله ليس عليه حرج، فما بالك بشخص غائب عنه الإيمان! فإن مشكلته كبيرة، فهو مثل الذي عندهم أمراض عقلية

-ربنا يشفي كل مريض- ويقولون لبعضهم: نحن محتجزون هنا بعيدا عن الناس لكي لا نصاب بالجنون، والناس ينظرون إليهم أنهم مجانين، وهذا بالضبط ما يحصل -مع فارق القياس- فعندما يراكم بعض الناس تدخلون المساجد، فإنهم ينظرون إليكم نفس النظرة، ويقولون: الدين ذهب بعقلهم، وهناك رجل يضحك عليهم يذهبون إليه كل يوم أربعاء، والأغرب من هذا أن بعضهم يقول: هذا هو الذي خرب علينا بلادنا.سبحان الله!! فالمسلم ينظر إلى هذه الفئات من الناس ولا يتهمها، لأنهم مرضى، وهناك مثل يقول: من ذاق عرف، فلو ذاق أحد طعم الإيمان سيعرفه، فإنه شيء يحس ولا يقال، فمثلا لو سألك رجل: كم تحب ولدك؟ فهذا ليس سؤالا؛ لأن كل شخص يحب ابنه، ولا يستطيع أن يصف حبه لابنه، فهذا شيء يحس ولا يقال، وهكذا الإيمان عندما يتشرب في القلوب فتجد صاحبه ينظر للناس نظرة رحمة، حتى العاصي فإنه ينظر له نظرة رحمة، لأنه لو تاب سيكون أحسن مني ومنك؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه: (عاشروا التوابين فإنهم أرق أفئدة).ورجل آخر قبل سنوات أتى ودق باب بيتي وهو كبير في السن، فقلت له: تفضل ادخل، فقال لي: أنا أتيت لأسأل سؤالا من الباب، فقلت له: تفضل واسأل بالداخل، فلم يقبل، فقلت له: تفضل واسأل، فقال: هل يغفر ربنا جميع الذنوب؟! قلت له: نعم، الله يغفر الذنوب جميعا بفضله ورحمته، وربما أن الله سيرحم محافظة الجيزة لأجلك، فقال لي: لماذا؟! وفاضت عيناه بالدموع، فقلت له: عندما يبلغ عمر العبد ستين سنة يقول الله: خففوا عن عبدي الحساب، وعندما يبلغ سبعين سنة يقول: هذا أسيري في الأرض، وعندما يبلغ ثمانين سنة يقول: لا تكتبوا على عبدي سيئة حتى آخذه عندي.فكلما تقدم العبد في السن كلما خفف الله عنه، لأن الله يسلب منه الصحة والذاكرة، وتجده يذكر شيئا وينسى شيئا، وبعدما كان يذهب هنا وهناك، بدأ يجلس في بيته وأصبحت حياته محدودة، فهذه تشمله رحمة الله عز وجل، وهذا من فضل الله على الإنسان.وأبو ذر رضي الله عنه كان قاطع طريق، لأنه كان من قبيلة غفار، وقبيلة غفار أكبر قطاع طرق في جزيرة العرب، فلما أسلم ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآه تبسم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أبو ذر: إن الله يهدي من يشاء، فعندما يشاء الله أن يهدي إنسانا فهو يهديه فيمن هدى.والأنس بالله من جربه عرفه، فالذي دنياه لله عز وجل، وكل حركة لله، من صلاة ودرس العلم، وقراءة وصلة الرحم، وبرنامج حياته كله لا يتحرك إلا لله، فيصبح عنده أنس بالله عز وجل، وما دام عنده أنس، فعنده طمأنينة، وما دام عنده طمأنينة فيكون عنده رضا، ومادام عنده رضا فهو في الجنة قبل أن يدخل الجنة.." (١)

"الأحاديث والآثار في كراهة الخوض والكلام في القدرإن الحمد لله تعالى، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.أما بعد: ففي الدرس الماضي تكلمنا عن القدر وكان هو بداية الكلام عن القدر، وبينا هناك أن الله تعالى خالق الخير والشر بدليل أنه خلق إبليس الذي هو رأس الشر.وأن للقدر مراتب أربعا: المرتبة الأولى: مرتبة العلم.والمرتبة الثانية: مرتبة الكتابة ومن أنكرهما كفر بالإجماع.والمرتبة الثالثة: مرتبة

---

(١) شرح كتاب الفوائد، عمر عبد الكافي ٦/١١

الإرادة، وقيل: المشيئة على خلاف بين أهل العلم فيما يتعلق بمعنى الإرادة والمشيئة.والمرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، والمقصود بها: أن الله تعالى خالق الخير والشر، وأن العبد مكتسب الخير والشر.إذا: الأفعال والأعمال في حق العبد اكتساب، وفي حق الرب تبارك وتعالى خلق وإيجاد، الله تعالى خلق وأوجد الخير والشر، ولكن الذي باشر ومارس الخير والشر بنفسه هو العبد.قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقد كان سلفنا وأئمتنا رحمة الله تعالى عليهم يكرهون الكلام في القدر، وينهون عن خصومة أهله ومواضعتهم القول في ذلك أشد النهي، ويتبعون في ذلك السنة وآثار المصطفى].هناك أحاديث جاءت في القدر، لكن بعضها ضعيف والآخر صحيح أو حسن، فمن الضعيف قوله عليه الصلاة والسلام الذي رواه عنه [عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم)]، وهو حديث ضعيف، والحسن: هو حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه ذات يوم وهم يتذاكرون شيئا من القدر -أي: يتباحثون في بعض مسائل القدر- فخرج عليهم مغضبا صلى الله عليه وسلم، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان) أي: من شدة الغضب احمر وجهه عليه الصلاة والسلام، فقال: (أبهذا أمرتم؟) أي: أنا أمرتكم أو أن الله أمركم أن تخوضوا في مسائل القدر؟ (أوما نهيتم عن هذا؟ إنما هلكت الأمم من قبلكم في هذا، إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا).نهاهم النبي عليه الصلاة والسلام عن الخوض في هذه المسائل الثلاث؛ لأن الخوض فيها يؤدي إلى الهلكة، (إذا ذكر القدر فأمسكوا) أي: لا تتحدثوا فيه ولا تقولوا: لم؟ وكيف؟ لم فعل الله هذا؟ وكيف فعل الله هذا؟ ولم لم يفعل الله هذا؟ قال: (فإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي) أي: أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام (فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا) هذه الثلاثة أشياء نحن مطالبون ومأمورون ألا نخوض فيها أبدا، وإنما نؤمن بها كما جاءت.قال: [وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال: أبهذا أمرتم؟ -أبهذا وكلتم؟ - انظروا ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فاجتنبوه)]، كأنه عليه الصلاة والسلام قال: لقد نهيتهم عن الكلام في القدر، فما بالكم تخالفون هذا النهي؟ قال: [وعن ابن عباس قال: (خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما فسمع ناسا يتذاكرون القدر، فقال: إنكم قد دخلتم في شعبتين بعيدتي الغور -يعني: قعرهما بعيد ومهلك- فيهما هلك أهل الكتاب)] كأنه يذكر القدر والنجوم.قال: [وعن مسلم بن يسار رحمه الله تعالى لما سئل عن القدر فقال: واد عميق لا يدرك غوره -أي: قعره وبعده- قف عند أدناه.واعمل عمل رجل يعلم أنه يجزى بعمله، وتوكل توكل رجل يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.وعن محمد بن إبراهيم القرشي عن أبيه قال: كنت جالسا عند ابن عمر فسئل عن القدر فقال: شيء أراد الله ألا يطلعكم عليه].كأن القدر هذا هو سر الله تعالى، وهذا قد جاء صريحا عن علي بن أبي طالب: القدر سر الله تعالى في خلقه.فلما سئل ابن عمر عن القدر قال: [شيء أراد الله ألا يطلعكم عليه.فلا تريدوا من الله ما أبى عليكم.وعن ميمون بن مهران قال: ثلاث ارفضوهن -أي: ارفضوا الكلام فيهن- ما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنجوم، والنظر في القدر]، فكأن هذه من مسائل الإجماع عند السلف؛ لأن الكل أجمع على النهي عن الخوض فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم جميعا، والإمساك عن النجوم

وأن لها عملا وتأثيرا في الخلق، وكذلك الكلام عن القدر.قال: [وسئل يحيى بن معاذ الرازي عن القدر فقال: من أحب أن يفرح بالله ويتمتع بعبادة الله فلا يسألن عن سر الله، يعني: القدر]..." (1)
(١) "

وقال يحيى بن معاذ الرازي: إن ربنا تعالى أبدى شيئا وأخفى أشياء وإن المحفوظين بولاية الإيمان حفظوا ما أبدى وتركوا ما أخفى وذهب آخرون يطلبون علم ما أخفى فهتكوا فهلكوا فأداهم الترك لأمره إلى حدود الضلال فكانوا زائغين. (٢)

موقفه من الجهمية:

- قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: وروى أيضا -أي ابن أبي حاتم- عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال: إن الله على العرش بائن من الخلق، وقد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل، وهالك مرتاب، يمزج الله بخلقه، ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان. (٣)

موقفه من القدرية:

- جاء في الإبانة: عن أبي محمد الإسكاف: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: من أحب أن يفرح بالله ويتمتع بعبادة الله؛ فلا يسألن عن سر الله يعني القدر. (٤)

---

(١) الإبانة (١/ ٢/٤٠٤ - ٤٠٦/ ٣٠٩).

(٢) الإبانة (١/ ٢/٤١٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩).

(٤) الإبانة (١/ ٨/٢٤٣/ ١٢٨٢).." (2)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى بعثني رحمة للعالمين، وأمرني بمحق المعازف، والمزامير، والصليب، وأمر الجاهلية. وحلف ربي بعزته: لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من خمر متعمدا إلا سقيته من صديد أهل النار يوم القيامة، مغفورا له معذبا، ولا يتركها من مخافتي إلا سقيته من حياض يوم القيامة، ولا يسقيها صبيا صغيرا أو ضعيفا مسلما إلا سقيته من صديد أهل النار يوم القيامة مغفورا له أو معذبا) .قال أبو عبد الله رحمه الله: فالفرح مقسوم على أولاد آدم كلهم، مركب في أجسادهم؛ فذهبت طائفة منهم فاستعملته في عبادة الأوثان، وطائفة استعملوه في دنياهم، وطائفة استعملوه في ذات الله.فمن فرح بالأوثان فأجزانه دائمة في النار، ومن فرح بدنياه فخسرانه بين يدى الله غدا مع الخسران، ومن فرح بالإسلام والطاعة شكر على ذلك وأثيب عليه، ومن فرح بالله قرب وحيي وأكرم وشرف وبويء له منازل في عليين، قال

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٢/٤٢

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٢٥٦/٤

الله تعالى: (وفرحوا بالحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) ، ثم قال: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) . ثم روى أنه قال للصديقين: أيها الصديقون، تنعموا بذكرى، وبي فافرحوا.." (١)

"فالمشتغلون بنفوسهم فرحوا بما فضلهم الله به من الإسلام ومن عليهم؛ والمشتغلون بالله انكشف لهم الغطاء، وفرحوا بالله، وتاهت قلوبهم في جلال الله؛ ففرحوا بأديانهم، قال الله تعالى: (كل حزب بما لديهم فرحون) . فخابوا حين استعملوا هذا الفرح الذى أعطوا في دين تلقوه من الشيطان.فلما جاء الله بالإسلام، وبعث محمدا رسوله الله صلى الله عليه وسلم، وهو سبب الفرح والرحمة، أمره بمحق كل فرح فرح به أهل الباطل؛ فأمره بكسر الأوثان والصلبان، وأمره بحق العازف والمزامير، وكل ذي وتر؛ لأن ذلك فرح فيه حظ الشيطان؛ وجعل الفرح بيده، فهو يمزجها في هذه الأصوات؛ حتى يضربوا بذلك حظ الشيطان؛ حتى لا يكون فرح إلا بالله وبالعبودية له. فمنهم من فرح بالعبودة، ولم يكن له طريق إليه فيفرح به، ومنهم من فرح بالله.فهذا سبب تحريم العازف، واللعب بكل ما يلهى عن الله. ويوضع كل هذا في الميزان في كفة الباطل.والمعازف كل ما تجد نفسك لصوته إذا حرك عزوفا، فالعزوف سلطان الشهوة، وإنما صار كذلك لأن الشهوة التى فيك إنما هى من المحفوفة بباب النار بالشهوات، فتلك خلقها الله ذات زينة وضياء وبهجة فتنة للعباد، وقسم للعدو منها حظا، وجعل للآدميين حظا. فحظوظ الآدميين، في أجوافهم، وحظ العدو عنده؛ فإذا مازج بحظه حظوظ الآدميين، اهتاجت شهوات." (٢)

"الآدميين، وتلظت فتنتهم. وقد روى حديث يحي بن زكريا عليه السلام حين سأل إبليس: ما هذه الأكواز الصغار التي علقتها على وسطك؟ قال: فيها شهوات بنى آدم، فأنا أذيقهم إياها واحدا واحدا، حتى آخذهم بواحدة منها.وأما الصوت الذى يخرج من الأوثان، فذلك أصله من اللطف، أعلى له إبليس حظا من اللطف يومئذ فأعطى على الاستدراج، فهو بذلك يصوت في أجواف الأصنام، فسبى بها قلوبا خلت من التوحيد. وإذا خرجت الأصوات من كل ذى وتر مازج ما أعطى من اللطف بهذا الصوت حتى تفتن القلوب بذلك، وسبا نفوسهم الشهوانية.وأهل التوحيد حشى توحيدهم بالفرح بالله، فلا يقدر العدو أن يسبى قلوبهم ونفوسهم بما عنده من الفرح.. ألا ترى إلى قوله تعالى: (ولكن الله حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) . فإذا كانت المحبة والزينة في قلب، فذاك قلب محشو من الفرح بمولاه، وهو لا يعلم لغلبة الشهوات، وغلبة أفراح الدنيا، قد انكمش بما فيه من الفرح.. ألا ترى أنه إذا وعظ وذكر بالله كيف تدمع عيناه، وكيف يقع في العويل.قال: وسمعت الجارود بن معاذ يقول لوكيع رحمه الله: أنت تصوم الدهر وتتعب، فمم سمنك هذا؟! من سرورى بالإسلام. فليست هذه البدانة من تربية أغذية الدنيا؛ فإذا فرح الإنسان بدن ولحم فكل فرح من فرح." (٣)

---

(١) المنهيات الترمذي، الحكيم ص/٩٠

(٢) المنهيات الترمذي، الحكيم ص/٩١

(٣) المنهيات الترمذي، الحكيم ص/٩٢

"حكاية: (سكرت أبصارنا) أي سدت. فكل شراب إلى، فإنما هو من وضع يد الشيطان فيه، فهو داخل مع نصيبه إلى المعدة، وآخذ للذهن، وحابس للعقل، ويبقى الإيمان منفردا في القلب. فالحمد لله على تحريمه على عباده.قال أبو عبد الله رحمه الله: فهذا سبب من الله في الظاهر لما هو في الباطن، وذلك أن الحلاوة خرجت من الفرح في الأصل، فإذا شربه فرح، والله لا يحب الفرحين بغيره، فطبع الآدمي علىالفرح بوجود كل شيء حلو، وقد وضع في العنب عامة الفرح.وروى عن وهب: أن آدم عليه السلام لما دخلها أول ما أكل منها العنب، فامتلأ فرحا حتى ثمل، فعندها أكل من الشجرة، ووجد العدو سبيلا إلى خدعه. فعامة الخلق هلكوا في أفراح الدنيا.. ألا ترى كيف ذمة الله تعالى: (وفرحوا بالحياة الدنيا) .. وقال: (ولا تفرحوا بما آتاكم) .. وقال: (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) .وقال: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) .فالأفراح كلها مذمومة، إلا فرحين: **فرح بالله**، وهو فرح الصديقين؛ وفرح بفضل الله ورحمته وهو الإسلام والقرآن.والفرح يقسى القلب، فإذا صار فيه الشراب دب فيه الفرح، فلذلك يشتد على هؤلاء الشربة مفارقته والنزوع عنه؛ لأنهم قد وجدوا لذة الفرح. فهم يحتملون مرارته، وأذاه، وغائلته، وصوره العاجل؛ ويخاطرون." (١)

"١٢٨٢ – حدثنا ابن أبي حازم الكوفي ، قال: سمعت أبا محمد الإسكاف ، يقول: سمعت يحي بن معاذ الرازي ، يقول: ﷺمن أحب أن **يفرح بالله** ويتمتع بعبادة الله فلا يسألن عن سر الله يعني القدر قال الشيخ رضي الله عنه: فإن قال قائل: قد رويت هذه الأحاديث في الإمساك عن الكلام في القدر والنظر فيه ، ومع هذا فقد روي عن رسول الله – [٢٤٤]– صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعن جماعة من التابعين وفقهاء المسلمين أنهم تكلموا فيه ، وفسروا آيات من القرآن يدل ظاهرها وتفسيرها على العلم بالقدر ، وقد رأينا جماعة من العلماء ألفوا فيه كتبا وصنفوه أبوابا. ورووا أيضا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعلموا من القدر ما لا تضلون» ، وهذا مخالف لقوله: «إذا ذكر القدر فأمسكوا» ، فإني أرجع إليه بجواب ما سأل عنه من ذلك بأن أقول له: اعلم رحمك الله أن كلا الوجهين صحيحان ، وكلا الأمرين واجب القبول لهما والعمل بهما ، وذلك أن القدر على وجهين ، وأمر النجوم على وجهين ، وأمر الصحابة على وجهين: فأما أمر النجوم: فأحدهما واجب علمه والعمل به ، فأما ما يجب علمه والعمل به فهو أن يتعلم من النجوم ما يهتدي به في ظلمات البر والبحر ، ويعرف به القبلة والصلاة والطرقات ، فبهذا العلم من النجوم نطق الكتاب ومضت السنة. وأما ما لا يجوز النظر فيه والتصديق به ، ويجب علينا الإمساك عنه من علم النجوم فهو أن لا يحكم للنجوم بفعل ، ولا يقضي لها بحدوث أمره كما يدعي الجاهلون من علم الغيوب بعلم النجوم ، ولا قوة إلا بالله. وكذلك أمر الصحابة رحمة الله عليهم ، فأمرهم على وجهين: –[٢٤٥]– أحدهما: فرض علينا علمه والعمل به. والآخر: واجب علينا الإمساك عنه وترك المسألة والبحث والتنقير عنه: فأما الواجب علينا علمه والعمل به فهو ما أنزل الله في كتابه من وصفهم ، وما ذكره من عظيم أقدارهم ، وعلو شرفهم ، ومحل رتبهم ، وما أمرنا به من الاتباع لهم بإحسان مع الاستغفار لهم ، وعلم ما جاءت به السنة من فضائلهم ومناقبهم ، وعلم ما يجب علينا حبهم لأجله من فضلهم وعلمهم ، ونشر ذلك عنهم ، لتنحاش القلوب إلى طاعتهم ، وتتألف على محبتهم ، فهذا كله واجب علينا علمه والعمل به ، ومن كمال ديننا طلبه. وأما ما يجب علينا تركه ، وفرض

---

(١) المنهيات الترمذي، الحكيم ص/١٣٩

علينا الإمساك عنه ، وحرام علينا الفحص والتنقير عنه هو النظر فيما شجر بينهم ، والخلق الذي كان جرى منهم لأنه أمر مشتبه ، ونرجئ الشبهة إلى الله ، ولا نميل مع بعضهم على بعض ، ولا نظلم أحدا منهم ، ولا نخرج أحدا منهم من الإيمان ، ولا نجعل بعضهم على بعض حجة في سب بعضهم لبعض ، ولا نسب أحدا منهم لسبه صاحبه ، ولا نقتدي بأحد منهم في شيء جرى منه على صاحبه ، ونشهد أنهم كلهم على هدى وتقى وخالص إيمان ، لأنا على يقين من نص التنزيل وقول الرسول ، أنهم أفضل الخلق وخيره بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأن أحدا ممن أتى بعدهم ولو جاء بأعمال الثقلين الإنس والجن من أعمال البر ، ولو لقي الله تعالى ولا ذنب له ولا خطيئة عليه لما بلغ ذلك أصغر صغيرة من حسنات أدناهم ، وما فيهم دني ، ولا شيء -[٢٤٦]- من حسناتهم صغير، والحمد لله. وأما القدر فعلى وجهين: أحدهما: فرض علينا علمه ومعرفته ، والإيمان به والتصديق بجميعه. والآخر: فحرام علينا التفكر فيه والمسألة عنه ، والمناظرة عليه ، والكلام لأهله ، والخصومة به. فأما الواجب علينا علمه والتصديق به والإقرار بجميعه أن نعلم أن الخير والشر من الله ، وأن الطاعة والمعصية بقضاء الله وقدره ، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا ، وأن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا ، علمهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، ووفقهم لأعمال صالحة رضيها أمرهم بها ، فوفقهم لها ، وأعانهم عليها ، وشكرهم بها ، وأثابهم الجنة عليها تفضلا منه ورحمة ، وخلق النار وخلق لها أهلا ، أحصاهم عددا ، وعلم ما يكون منهم ، وقدر عليهم ما كرهه لهم ، خذلهم بها وعذبهم لأجلها غير ظالم لهم ولا هم معذورون فيما حكم عليهم به ، فكل هذا وأشباهه من علم القدر الذي لزم الخلق علمه والإيمان به والتسليم لأمر الله وحكمه وقضائه وقدره ، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وسيأتي من علم القدر وما يجب على المسلمين علمه والمعرفة به وما لا يسعهم جهله مشروحا مفصلا في أبوابه على ما جاء به نص التنزيل ومضت به سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وبالله نستعين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
-[٢٤٧]- وأما الوجه الآخر من علم القدر الذي لا يحل النظر فيه ولا الفكر به ، وحرام على الخلق القول فيه كيف ولم وما السبب مما هو سر الله المخزون وعلمه المكتوم الذي لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، وحجب العقول عن تخيل كنه علمه ، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس ، كلما ازداد فيه نظرا ازداد فيه تحيرا ، ومن العلم بكيفيتها بعدا ، فهو التفكر في الرب عز وجل كيف فعل كذا وكذا ، ثم يقيس فعل الله عز وجل بفعل عباده ، فما رآه من فعل العباد جورا يظن أن ما كان من فعل مثله جور ، فينفي ذلك الفعل عن الله ، فيصير بين أمرين إما أن يعترف لله عز وجل بقضائه وقدره ويرى أنه جور من فعله ، وإما أن يرى أنه ممن ينزه الله عن الجور ، فينفي عنه قضاءه وقدره ، فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته ، فبالفكر في هذا وشبهه والتفكر فيه والبحث والتنقير عنه هلكت القدرية حتى صاروا زنادقة وملحدة ومجوسا ، حيث قاسوا فعل الرب بأفعال العباد وشبهوا الله بخلقه ولم يعوا عنه ما خاطبهم به ، حيث يقول ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فمما لا يحل لأحد أن يتفكر فيه ولا يسأل عنه ، ولا يقول فيه لم لا ينبغي لأحد أن يتفكر ، لم خلق الله إبليس وهو قد علم قبل أن يخلقه أنه سيعصيه ، وأن سيكون عدوا له ولأوليائه؟ ولو كان هذا من فعل المخلوقين إذا علم أحدهم أنه إذا اشترى عبدا يكون عدوا له ولأوليائه ، ومضادا له في محابه ، وعاصيا له في أمره ، ولو فعل ذلك لقال أولياؤه وأحباؤه: إن هذا خطأ وضعف رأي وفساد نظام الحكمة ، فمن تفكر في نفسه وظن أن الله لم يصب في فعله حيث خلق إبليس فقد كفر ، ومن قال: إن الله لم يعلم قبل أن يخلق إبليس أنه يخلق إبليس

عدوا -[٢٤٨]- له ولأوليائه فقد كفر ، ومن قال: إن الله لم يخلق إبليس أصلا فقد كفر. وهذا قول الزنادقة الملحدة ، فالذي يلزم المسلمين من هذا أن يعلموا أن الله خلق إبليس وقد علم منه جميع أفعاله ولذلك خلقه ، ويعلموا أن فعل الله ذلك عدل صواب ، وفي جميع أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. ومما يجب على العباد علمه وحرام عليهم أن يتفكروا فيه ويعارضوه بآرائهم ويقيسوه بعقولهم وأفعالهم ، لا ينبغي لأحد أن يتفكر لم جعل الله لإبليس سلطانا على عباده وهو عدوه وعدوهم مخالف له في دينه ، ثم جعل له الخلد والبقاء في الدنيا إلى النفخة الأولى ، وهو قادر على أن لا يجعل له ذلك ، لو شاء أن يهلكه من ساعته لفعل ، ولو كان هذا من فعل العباد لكان خطأ ، وكان يجب في أحكام العدل من العباد أن إذا كان لأحدهم عبد وهو عدو له ولأحبائه ومخالف لدينه ومضاد له في محبته أن يهلكه من ساعته ، وإذا علم أنه يضل عبيده ويفسدهم ، ففي حكم العقل والعدل من العبادات أن لا يسلطه على شيء من الأشياء ، ولا يجعل له سلطانا ولا مقدرة ، ولو سلطه عليهم كان ذلك من فعله عند الباقين من عباده ظلما وجورا حيث سلط عليهم من يفسدهم عليه ويضاده فيهم وهو عالم بذلك من فعله ، وقادر على منعه وهلكته ، فممن تفكر في نفسه فظن أن الله لم يعدل حين جعل لإبليس الخلد والبقاء وسلطه على بني آدم فقد كفر ، ومن زعم أن الله عز وجل لم يقدر أن يهلك إبليس من ساعته حين أغوى عباده فقد كفر ، وهذا من الباب الذي يرد علمه إلى الله ولا يقال فيه لم ولا كيف ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ومن ذلك نوع آخر: أن الله عز وجل جعل لإبليس وذريته أن يأتوا بني آدم في جميع أطراف الأرض ، يأتونهم من حيث لا يرونهم لقوله عز وجل ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ [الأعراف: ٢٧] وجعلهم يجرون من بني آدم مجرى -[٢٤٩]- الدم ولم يجعل للرسل من بني آدم من السلطان مثل ما جعل لهم ، ولو كان هذا في أحكام العباد لكان من العدل بينهم أن يكون مع إبليس وذريته علامة كعلامة السلطان ، أو يكون عليهم أجراس يعرفونهم بها ، ويسمعون حسهم فيأخذون حذرهم منهم ، حتى إذا جاءوا من بعيد علم العباد أنهم هم الذين يضلون الناس ، فيأخذون حذرهم ، أو يجعل للرسل أن يزينوا ويوصلوا إلى صدور الناس من طاعة الله كما يوسوس الشيطان ذريته ويزينوا لهم المعصية ، فلو فعل ذلك كان عند عبيده الباقين ظلما وجورا لأن العباد لا يعلمون الغيب فيأخذوا حذرهم من إبليس ، والرسل لا يستطيعون أن يزينوا في قلوب العباد طاعة الله ومعرفته كما يزين الشيطان في قلوب العباد معصيته بالوسوسة ، فمن قال: إن الله لم يجعل لإبليس وذريته سلطانا أن يأتوا على جميع بني آدم من حيث لا يرونهم ويوسوس في صدورهم المعاصي فقد كفر ، ومن قال: إن الله لم يعدل حيث جعل لإبليس وذريته هذا السلطان على بني آدم فقد كفر ، وهذا أيضا من الباب الذي يرد علمه مع الإيمان به والتسليم فيه إليه ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ومن ذلك أيضا لا ينبغي لأحد أن يتفكر لم سلط الله الكفار على الرسل في الدنيا ، وسلط الكافرين على المؤمنين حتى قتلوهم وعذبوهم وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وإنما سلط الله أعداءه على أوليائه ليكرم أولياءه في الآخرة بهوان أعدائه ، وهو قادر على أن يمنع الكافرين من المؤمنين ويهلك الكفار من ساعته ، ولو كان هذا من أفعال بعض ملوك العباد كان جورا عند أهل مملكته حيث سلط أعداءه على أنصاره وأوليائه وهو قادر على هلكتهم من -[٢٥٠]- وقتهم ، فمن تفكر في نفسه فظن أن هذا جور من فعل الله حيث سلط الكفار على المؤمنين فقد كفر ، ومن قال: إن الله لم يسلطهم وإنما الكفار قتلوا أنبياء الله وأولياءه بقوتهم واستطاعتهم ، وأن الله لم يقدر أن ينصر أنبياءه وأولياءه حتى غلبوه وحالوا بينه وبين

من أحب نصره وتمكينه فمن ظن هذا فقد كفر ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣] ، لا يشبه عدله عدل المخلوقين ، كما أن شيئا من الخلق لا يشبهه. وخصلة أخرى أنه لا ينبغي لأحد أن يتفكر لم مكن الله لأعدائه في البلاد ، وأعانهم بقوة الأبدان ورشاقة الأجسام ، وأيدهم بالسلاح والدواب ، ثم أمر أنبياءه وأولياءه أن يعدوا لهم السلاح والقوة ، وأن يحاربوهم ويقاتلوهم ، ووعدهم أن يمدهم بالملائكة ، ثم قال هو لنفسه: إني معكم على قتال عدوكم وهو قادر على أن يهلك أعداءه من وقته بأي أنواع الهلاك شاء من غير حرب ولا قتال ، وبغير أنصار ولا سلاح ، فلو كان هذا من أفعال العباد وأحكامهم لكان جورا وفسادا أن يقوي أعداءه على أوليائه ، ويمدهم بالعدة ، ويؤيدهم بالخيل والسلاح والقوة ، ثم يندب أولياءه لمحاربتهم ، فمن قال: إن العدة والقوة والسلاح الذي في أعداء الله ليس هو من فعل الله بهم وعطية الله لهم فقد كفر ، ومن قال: إن ذلك من فعل الله بهم وعطيته لهم وهو جور من فعله فقد كفر ، ومن قال: إن الله أعطاهم وقواهم ولم يقدر أن يسلبهم إياه ويهلكهم من ساعته فقد كفر ، وهذا مما يجب الإيمان به والتسليم له، وأن الله خلق أعداءه وقواهم وسلطهم ، ولو شاء أن يهلكهم لفعل ، والله أعدل في ذلك كله ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ومما لا ينبغي لأحد أن يتفكر فيه ، لا ينبغي لأحد أن يضمر في نفسه -[٢٥١]- فيقول: لم خلق الله الحيات والعقارب والهوام والسباع التي تضر بني آدم ولا تنفعهم وسلطها على بني آدم ولو شاء أن لا يخلقها ما خلقها ، ولو كان هذا من فعل ملوك العباد لقال أهل مملكته: هذا غش لنا ومضرة علينا بغير حق حيث جعل معنا ما يضر بنا ولا ننتفع نحن ولا هو به ، فمن تفكر في نفسه فظن أن الله لم يعدل حيث خلق الحيات والعقارب والسباع وكلما يؤذي بني آدم ولا ينفعهم فقد كفر ، ومن قال: إن لهذه الأشياء خالقا غير الله فقد كفر ، وهذا قول الزنادقة والمجوس وطائفة من القدرية ، فهذا مما يجب على المسلمين الإيمان به ، وأن يعلم أن الله خلق هذه الأشياء كلها وعلم أنها تضر بعباده وتؤذيهم وهو عدل من فعله وهو أعلم بما خلق ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣]. وخصلة أخرى لا ينبغي لأحد أن يتفكر ويضمر في نفسه ، لم ترك الله العباد حتى يجحدوه ويشركوا به ويعصوه ، ثم يعذبهم على ذلك وهو قادر على هدايتهم ، وهو قادر أن يمنع قلوبهم أن تدخلها شهوة شيء من معصيته ، أو محبة شيء من مخالفته ، وهو القادر على أن يبغض إلى الخلق أجمعين معصيته ومخالفته، وقادر على أن يهلك من هم بمعصيته مع همته، وهو قادر على أن يجعلهم كلهم على أفضل عمل عبد من أوليائه ، فلم لم يفعل ذلك؟ فمن تفكر في نفسه فظن أن الله لم يعدل حيث لم يمنع المشركين من أن يشركوا به ، ولم يمنع القلوب أن يدخلها حب شيء من معصيته ولم يهد العباد كلهم فقد كفر ، ومن قال: إن الله أراد هداية الخلق وطاعتهم له وأراد أن لا يعصيه أحد ولا يكفر أحد فلم يقدر فقد كفر ، ومن قال: إن الله قدر على هداية -[٢٥٢]- الخلق وعصمتهم من معصيته ومخالفته فلم يفعل ذلك وهو جور من فعله فقد كفر ، وهذا مما يجب الإيمان به والتسليم له ، وترك الخوض فيه والمسألة عنه ، وهو أن يعلم العبد أن الله عز وجل خلق الكفار وأمرهم بالإيمان وحال بينهم وبين الإيمان ، وخلق العصاة وأمرهم بالطاعة وجعل حب المعاصي في قلوبهم ، فعصوه بنعمته ، وخالفوه بما أعطاهم من قوته ، وحال بينهم وبين ما أمرهم به ، وهو يعذبهم على ذلك ، وهم مع ذلك ملومون غير معذورين ، والله عز وجل عدل في فعله ذلك بهم ، وغير ظالم لهم ، ولله الحجة على الناس جميعا ، له الخلق والأمر تبارك وتعالى ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فهذا من علم القدر الذي لا يحل البحث عنه ولا الكلام فيه ، ولا التفكر فيه ، وبكل ذلك مما قد ذكرته وما أنا ذاكره نزل

القرآن وجاءت السنة وأجمع المسلمون من أهل التوحيد عليه ، لا يرد ذلك ولا ينكره إلا قدري خبيث مشوم قد زاغ قلبه وألحد في دين الله وكفر بالله، وسأذكر الآيات في ذلك من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد." (١)

"سمعت أبا عمرو العثماني، يقول: سمعت أبا الحسن الرازي، يقول: قال أبو سعيد الخزاز: " ﷺكل ما فاتك من الله سوى الله يسير وكل حظ لك سوى الله قليل، وقال: الناس في **الفرح بالله** على أربع طبقات: إنما هو المعطي والمعطى والإعطاء والعطاء فمن الناس من فرح بالمعطي ومنهم من فرح بالمعطى وهو نفسه ومنهم من فرح بالإعطاء ومنهم من فرح بالعطاء، فينبغي أن يكون فرحك في العطاء بالمعطي ولذتك في اللذات بخالق اللذات وتنعمك في النعم بالمنعم دون النعم لأن ذكر النعمة عند ذكر المنعم حجاب، ورؤية النعمة عند رؤية المنعم حجاب "." (٢)

"فباعه عثمان بخمسين ألفافكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغني غيرهفأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلبفأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبةومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة فقيل له إن هذا أسير السواني ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرةفكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الأقذار والشغل يطول في دفعها فإن الذباب كلما ذب آب ولأجله سمي ذبابافكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فسادومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاةفإن من فرح بالدنيا لا **يفرح بالله** سبحانه وبمناجاتهوهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فإذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئاوعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فبقدر ما ندخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعانبيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاةفنقول حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة وأركانهاأما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنيةفإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري، ابن بطة ٣/٢٤٣

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠/٢٤٩

يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاءولذلك قال صلى الله عليه وسلم أرحنا يا بلال (١) أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلموأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودكوأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإن ظاهر بدنك مرتع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ـــــــــــــــ(١) حديث بها أرحنا يا بلال أخرجه الدارقطني في العلل من حديث بلال ولأبي داود نحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم بإسناد صحيح." (١)

"يتحرك مع مذاكراتي أصحابنا من أثر العبادة. وقالت لي: لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حب الإخوان، وإنما رغبت فيك رغبة في خدمتك، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل ملكي ومالي مثلك ومثل إخوانك.قال أحمد: وكانت لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها علي. فكانت إذا طبخت قدرا قالت: كلها يا سيدي فما نضجت إلا بالتسبيح. وقالت لي: لست أستحل أن أمنعك نفسي وغيري، اذهب فتزوج. قال: فتزوجت ثلاثا، وكانت تطعمني اللحم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك. وكنت إذا أردت جماعها نهارا قالت: أسألك بالله لا تفطرني اليوم، وإذا أردتها بالليل قالت: أسألك بالله لما وهبتني لله الليلة.أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جرادا إلا ذكرت الحشر.أحمد بن أبي الحواري قال: قالت لنا رابعة: نحوا عني ذلك الطست، فإنما عليه مكتوب: مات أمير المؤمنين هارون الرشيد.قال أحمد: فنظروا فإذا هو مات ذلك اليوم.أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون، وربما رأيت الحور العين يستترن مني بأكمامهن. وقالت بيدها على رأسها.قال أحمد: ودعوت رابعة فلم تجبني، فلما كان بعد ساعة أجابتني وقالت: إنما منعني من أن أجيبك أن قلبي قد كان امتلأ فرحا بالله، فلم أقدر أن أجيبك.." (٢)

"وكانت تقول: ما سمعت الآذان إلا ذكرت منادي القيامة ، ولا رأيت الثلج إلا تذكرت تطاير الصحف ، ولا رأيت جرادا إلا ذكرت الحشر ، وربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون ، وربما رأيت الحور يستترن مني بأكمامهنقال: ودعوتها مرة فلم تجبني ، فلما كان بعد ساعة أجابتني وقالت: إن قلبي كان قد امتلأ فرحا بالله فلم أقدر أن أجيبك.قال: وكانت لها أحوال شتى ، فمرة يغلب عليها الحب فتقول:(حبيب ليس يعدله حبيب ... ولا لسواه في قلبي نصيب)(حبيب غاب عن بصري وسمعي ... ولكن عن فؤادي ما يغيب)وتارة يغلب عليها الأنس فتقول:(ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت جسمي

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/١٦٥

(٢) صفة الصفوة ابن الجوزي ٢/٤٣٣

من أراد جلوسي)(فالجسم مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي)وتارة يغلب عليها الخوف فتقول:(وزادي قليل ما أراه مبلغي ... أللزاد أبكي أم لطول مسافتي)(أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي فيك أين محبتي)ويح قلبك! ما هذه القسوة ، أتغلبك وأنت رجل نسوة!كانت أم هارون من العابدات تقول: إني لأغتم بالنهار حتى يجيء الليل ، فإذا جاء الليل قمت ، فإذا جاء السحر دخل الروح قلبي.وخرجت إلى بيت المقدس فعارضها سبع فقالت: تعال إن كان لك رزق فكل. فأقعى السبع ثم عاد.وكانت ثويبة بنت بهلول تقول: قرة عيني! ما طابت الدنيا والآخرة إلا بك ، فلا تجمع علي فقدك والعذاب!قال خشيش الموصلي: جاءني كتاب من حمادة العابدة فإذا فيه: أبلغ كل." (١)

"وأما الفخر بالنعم فهو أن يستطيل بها على الناس ويريهم أنه أعز منهم وأكبر فيركب أعناقهم ويستعبد قلوبهم ويستميلها إليه بالتعظيم والخدمة قال النعمان بن بشير إن للشيطان مصالي وفخوخا وإن من مصاليه وفخوخه البطش بنعم الله والكبر على عباد الله والفخر بعطية الله في غير ذات اللهفصل والفرق بين فرح القلب وفرح النفس ظاهر فإن **الفرح بالله** ومعرفتهومحبته وكلامه من القلب قال تعالى ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ فإذا كان أهل الكتاب يفرحون بالوحي فأولياء الله وأتباع رسوله أحق بالفرح به وقال تعالى ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ وقال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله وقال هلال بن يساف فضل الله ورحمته الإسلام الذي هداكم إليه والقرآن الذي علمكم هو خير من الذهب والفضة الذي تجمعون وقال ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور المفسرين فضل الله الإسلام ورحمته القرآن فهذا فرح القلب وهو من الإيمان ويثاب عليه العبد فإن فرحه به يدل على رضاه به بل هو فوق الرضا فالفرح بذلك على قدر محبته فإن الفرح إنما يكون بالظفر بالمحبوب وعلى قدر محبته يفرح بحصوله له **فالفرح بالله** وأسمائه وصفاته ورسوله وسنته وكلامه محض الإيمان وصفوته ولبه وله عبودية عجيبة وأثر القلب لا يعبر عنه فابتهاج القلب وسروره وفرحه بالله وأسمائه وصفاته وكلامه ورسوله ولقائه أفضل ما يعطاه بل هو جل عطاياه والفرح في الآخرة بالله ولقائه بحسب الفرح به ومحبته في الدنيا فالفرح بالوصول إلى المحبوب يكون على حسب قوة المحبة وضعفها فهذا شأن فرح القلب وله فرح آخر وهو فرحه بما من الله به عليه علمه من معاملته والإخلاص له والتوكل عليه والثقة به وخوفه ورجائه به وكلما تمكن في ذلك قوى فرحه وابتهاجه وله فرحة أخرى عظيمة الوقع عجيبة الشأن وهي الفرحة التي تحصل له بالتوبة فإن لها فرحة عجيبة لا نسبة لفرحة المعصية إليها البتة فلو علم المعاصي إن لذة التوبة وفرحتها يزيد على لذة المعصية وفرحتها أضعافا مضاعفة لبادر إليها أعظم من مبادرته إلى لذة المعصية." (٢)

"٤٥٩١ - (الزنا يورث الفقر) أي اللازم الدائم لأن الغنى من فضل الله والفضل لأهل **الفرح بالله** وبعطائه وقد أغنى الله عباده بما أحل لهم من النكاح من فضله فمن آثر الزنا عليه فقد آثر الفرح الذي من قبل الشيطان الرجيم على فضل ربه الرحيم وإذا ذهب الفضل ذهب الغنى وجاء العنا فالزنا موكل بزوال النعمة فإذا ابتلي به عبد ولم يقلع ويرجع فليودع نعم الله

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٣٠٢/١

(٢) الروح ابن القيم ص/٢٤٨

فإنها ضيف سريع الانفصال وشيك الزوال ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له﴾ قال في شرح الشهاب: الفقر نوعان فقر يد وفقر قلب فيذهب شؤم الزنا بركة ماله فيمحقه لأنه كفر النعمة واستعان بها على معصية المنعم فيسلبها ثم يبتلى بفقر قلبه لضعف إيمانه فيفتقر قلبه إلى ما ليس عنده ولا يعطى الصبر عنه وهو العذاب الدائم وأخرج ابن عساكر من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أوحى الله إلى موسى يا موسى إني قاتل القاتلين ومفقر الزناة(القضاعي) في مسند الشهاب قال العامري في شرحه: غريب (هب عن ابن عمر) بن الخطاب قال المنذري: فيه الماضي بن محمد وقال في الميزان: حديث منكر وإسناده فيه ضعيف." (١)

"٤٨١٦ - (السلطان ظل الله في الأرض) تشبيه وقوله (يأوي إليه كل مظلوم من عباده) جملة مبينة إنما شبهه بالظل لأن الناس يستريحون إلى برد عدله من حر الظلم (فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جار (١) أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر) أي الوزر العظيم الشديد (وكان على الرعية الصبر) أي يلزمهم الصبر على جوره ولا يجوز لهم الخروج عليه إلا إن كفر ثم إنه لا منافاة بين فرض جوره وما اقتضاه مطلع الحديث من عدله لأن قوله السلطان ظل الله بيان لشأنه وأنه ينبغي كونه كذلك فإذا جار خرج عن كونه ظل الله فهو من قبيل ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ فرتب على الحاكم الوصف المناسب ونهاه عما لا يناسب أفاده الطيبي (وإذا جارت الولاة قحطت السماء) أي إذا ذهب العدل انقطع القطر فلم تنبت الأرض فحصل القحط لأن الوالي فاصل بين -[١٤٣]- الحق والباطل فإذا ذهب الفاضل انقطعت الرحمة (وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي) لأن الزكاة تنميها والنمو بركة وإذا منعت الزكاة بقي المال بدنسه ولا بقاء للبركة مع الدنس وإذا ارتحلت البركة عن شيء هلك لأن نسله ينقطع (وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة) لأن الغنى من فضل الله والفضل لأهل **الفرح بالله** وبعطائه وبالمناكحة الشرعية يلتقي الزوجان على الفرح بما أعطاهم الله فمن زنا فقد آثر الفرح الذي من قبل العدو على الفرح الذي بفضل الله فأورثه الفقر (وإذا أخفرت الذمة أديل الكفار) لأن المؤمن عاهد الله بالوفاء بذمته فإذا أخفر نقض العهد وإذا نقض وهن عقد المعرفة لأن المعرفة مقرونة بالعهد معقودة به وبنقض العهد يخاف انحلال العقد وبالانحلال تذهب هيبة الإسلام ويقذف الوهن في القلوب(الحكيم) الترمذي (والبزار) في مسنده وابن خزيمة عن ابن عمر قال الهيثمي: وفيه سعيد بن سنان أبو مهدي وهو متروك (هب) وكذا أبو نعيم والديلمي (عن ابن عمر) بن الخطاب وقضية صنيع المصنف أن البيهقي خرجه وسكت عليه والأمر بخلافه بل تعقبه بما نصه وأبو المهدي سعيد بن سنان ضعيف عند أهل العلم (٢) بالحديث انتهى وسعيد بن سنان هذا ضعفه ابن معين وغيره وقال البخاري: منكر الحديث وساق في الميزان من مناكيره هذا الحديث وجزم الحافظ العراقي بضعف سنده__________(١) الجور نقيض العدل وضد القصد والحيف الجور والظلم وضع الشيء في غير موضعه وحينئذ فمعاني الثلاث متقاربة أي فالجمع بينها للإطناب(٢) [في الأصل: " أهل العز " وهو خطأ مطبعي واضح. دار الحديث]." (٢)

---

(١) فيض القدير المناوي ٤/٧٢

(٢) فيض القدير المناوي ٤/١٤٢

"شيئا من أعمال القلب ، وأخذت فى تعظيمه ومنفعته – لا أذكره الان – فقال: أما أنا فطريقتى: **الفرح بالله** ، والسرور به. أو نحو هذا من العبارة ".إلهى .. سسنا كيف شئت ، فسوف نرضى .. إلهى:إذا ارتحل الكرام إليك يوما ... ليلتمسوك حالا بعد حالفإن رحالنا حطت لترضى ... بحلمك عن حلول وارتحالأنخنا فى فنائك يا إلهى ... إليك معرضين بلا اعتدالفسسنا كيف شئت ولا تكلنا ... إلى تدبيرنا يا ذا المعاليقول ابن الجوزى – عليه رحمة الله وبركاته – فى " صيد الخاطر " تحت عنوان " فصل: تذكر أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم ":" من أراد أن يعلم حقيقة الرضى عن الله – عز وجل – فى أفعاله ، وأن يدرى من أين ينشأ الرضى ، فليتفكر فى أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم.فإنه لما تكاملت معرفته بالخالق – سبحانه – رأى أن الخالق مالك ، وللمالك التصرف فى مملوكه ، ورأه حكيما لا يصنع شيئا عبثا ، فسلم تسليم مملوك لحكيم ، فكانت العجائب تجرى عليه ولا يوجد منه تغير ، ولا من الطبع تأفف.ولا يقول بلسان الحال: لو كان كذا ، بل يثبت للأقدار ثبوت الجبل لعواصف الرياح.." (١)

"دراسات في الشريعة والعقيدةالبركة أهميتها، ضوابطها، وسائلها، نواقضهاسليمان بن محمد الهذالإن حياة المسلم محدودة ومعدودة؛ ومهما بلغ من حرص وجهد لكسبالحسنات والتسابق في الخيرات والعمل في مرضاة الله تعالى فلا يزال عمره قصيرا؛لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«أعمار أمتي ما بين ستين وسبعين، وأقلهم من يجوز ذلك» [١] .وإذا كان عمر الإنسان بهذا الحد وبهذا الحال فلا بد من بذل الجهد الذي يمكننامن حصول البركة في أعمالنا وأوقاتنا، ولا سيما أن الأعمال المنوطة بالإنسانكثيرة؛ فتجد كثيرا من الدعاة وطلاب العلم الذين يحترقون لنصرة هذا الدين والنجاةمن عذاب الآخرة تجدهم كثيرا ما يشتكون من عجزهم عن القيام ببعض الأعمال،وذلك لعدم وجود الوقت الذي يتمكنون فيه من القيام بهذا العمل. وإنك لتتعجب أشدالعجب من حال السلف وعظم ما أنجزوه وصنفوه؛ إلا أنك تجد أن هناك سرا فيحياتهم وهو تمكنهم من حصول البركة في جميع شؤونهم؛ فكانت البركة في حياتهمأنهم جمعوا من العلم الشيء الكثير حتى قيل: إن الإنسان لو أفنى عمره في قراءتهافلن ينتهي منها؛ فكيف درسوا هذا العلم وسجلوه؟ !ومن ذلك حال شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول عنه تلميذه ابن القيم: «وقدشاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وكتابه أمرا عجيبا؛ فكانيكتب في اليوم من التصانيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكرمن قوته في الحرب أمرا عظيما» [٢] .بل لم يكن هذا العمل هو الوحيد عند شيخ الإسلام وإنما كان صاحب عبادةوتعليم وإنكار للمنكرات وجهاد، وسجن في آخر عمره، وخلف بعد وفاته مشروعاعظيما لا يزال العلماء وطلبة العلم عيال عليه؛ فما السر في ذلك؟ ! لا شك أنه منالبركة في الوقت والعمل.وهذا الموضوع يحتاج إليه العالم والمتعلم والمربي، والداعية إلى الله،وأصحاب الأعمال، وأصحاب الأموال وغيرهم من الأمة الإسلامية، يحتاجون إليهوخاصة الدعاة والعلماء وطلبة العلم، وحتى يتمثلوا بقول الله تعالى: [وجعلنيمباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا] (مريم: ٣١) . فيأي مكان وزمان؛ فالبركة جعلها الله في تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر،والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله؛ فكل من جالسه أو اجتمع به نالته بركته،وسعد به مصاحبه « [٣] .أهمية الموضوع:١ – أن العبرة في كثير من الأعمال

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/١٨٩

والأمور إنما هو بالكيف وحصول البركة،وليست بالكثرة مع عدمها، وقد ذم الله ذلك فقال: [ولكن أكثر الناس لا يشكرون](غافر: ٦١) .٢ – قلة الإنتاجية في بعض الأعمال الدعوية وغيرها مع كثرة الجهودالمبذولة في ذلك.٣ – حاجة الدعاة والمربين وطلاب العلم والعباد إلى حصول البركة فيأعمالهم.٤ – حاجة عامة المسلمين إلى حصول البركة في أعمالهم وأرزاقهم.تعريف البركة لغة:١– أصل البركة الثبوت واللزوم. قال الراغب الأصفهاني:» برك البعير:ألقى ركبه. واعتبر منه معنى اللزوم فقيل: ابتركوا في الحرب أي ثبتوا ولازمواموضع الحرب « [٤] .٢ – النماء والزيادة. وفي معجم مقاييس اللغة:» قال الخليل: البركة منالزيادة والنماء « [٥] . وفي حديث أم سليم:» فحنكه وبرك عليه «أي: دعا لهبالبركة. وروى ابن عباس: ومعنى البركة الكثرة في كل خير.وقال ابن الأثير في حديث:» وبارك على محمد وعلى آل محمد «أي:أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة. وهو من برك البعير إذا أناخ فيموضع فلزمه، وتطلق أيضا على الزيادة والأصل الأول [٦] .ويمكن أن نخلص بتعريف للبركة بأنها: الزيادة في الخير والأجر وكل مايحتاجه العبد في دينه ودنياه بسبب ذات مباركة أو زمان مبارك [٧] .أو هي: أن تعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيرك في الزمن الكثير.ضوابط في البركة:١ – البركة كلها من الله كما أن الرزق من الله؛ فلا تطلب البركة إلا من الله؛ويدل على هذا قوله تعالى: [قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك](هود: ٤٨) ، وقوله: [رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت] (هود: ٧٣) .وما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال:» كنا نعد الآياتبركة وأنتم تعدونها تخويفا، وكنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقلالماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء. فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء،ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله. فلقد رأيت الماء ينبع من بينأصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم « [٨] .فإذا كانت من الله فطلبها من غيره شرك.٢ – أن ما يتبرك به من الأعيان والأقوال والأفعال التي ورد الشرع بها إنماهو سبب للبركة وليس هو البركة.كما أن ما يتداوى به من الأدوية إنما هو سبب للشفاء وليس هو الشفاء، وماذكر الشرع أن فيه بركة فيستعمل استعمال السبب الذي قد يتخلف تأثيره لفقد شرطأو وجود مانع كما هو معلوم في قاعدة الأسباب الشرعية. وما تضاف البركة إليهإنما هو من باب إضافة الشيء إلى سببه! كما قالت عائشة رضي الله عنها عنجويرية بنت الحارث رضي الله عنها:» فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة علىقومها منها « [٩] . أي: هي سبب للبركة وليست المعطية للبركة؛ فلذلك لماتزوجها صلى الله عليه وسلم أعتق الصحابة من سبوه من قومها بني المصطلقلكونهم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهذه بركة عظيمة من الله والسببهو جويرية بنت الحارث؛ فهكذا الأشياء المباركة سبب للخير والنماء والزيادة.٣ – أن التماس البركة في شيء من الأشياء مبني على التوقيف؛ فالذي يدلعلى حصول البركة من عدمها إنما هو الدليل الشرعي فحسب [١٠] .٤ – أن البركة التي توجد في بعض المخلوقات من الذوات أو الأماكنوغيرها أن هذا من فضل الله اختصها الله بذلك لحكمة يعلمها [١١] .فيما تجلب به البركة:١– طلب البركة بأمور عبادية: ومنها:أ – التقوى:تقوى الله ومراقبته في السر والعلن سبب رئيس في حصول البركة؛ فلهذاقال عز من قائل عليم: [ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات منالسماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون] (الأعراف: ٩٦) .وقوله تعالى: [ومن يتق الله يجعل له مخرجا] (الطلاق: ٢) .وقوله تعالى: [ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا] (الطلاق: ٤) .قال الواحدي: أي: يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.فلهذا لو تأملنا حال السلف الذين مكنوا من البركة فإن الواحد منهم كان لهنصيب من تقوى الله في جميع شأنه؛

فلو نظرنا إلى نموذج واحد منهم وهو شيخالإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله حيث يقول عنه تلميذه ابن القيم:» وحضرتشيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب منانتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد سقطت قوتي «أوكلاما قريبا من هذا. وقال لي مرة:» لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتهالأستعد بتلك الراحة لذكر آخر؛ أو كلاما هذا معناه « [١٢] .ب – كثرة الاستغفار:قال تعالى: [فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكممدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا](نوح: ١٠–١٢) .وقوله تعالى: [وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجلمسمى] (هود: ٣) .ج – الصلاة وإقامتها بالخشوع:قال تعالى: [وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقكوالعاقبة للتقوى] (طه: ١٣٢) .وقال وهب:» كانت الكرب العظام تكشف عن الأولين بالصلاة «.د – البر وصلة الأرحام وحسن الجوار:وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:» منأحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه « [١٣] .واختلف العلماء في معنى الإطالة الواردة في الحديث.قيل: البركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه فيالآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك. وهذا القول اختاره ابن حجروالطيبي [١٤] .الثاني: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك؛فيظهر لهم في اللوح المحفوظ أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلهازيد له أربعون.الثالث: قيل المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت، وهذا ضعيف أوباطل [١٥] .واختار شيخ الإسلام:» أن الله يكتب للعبد أجلا في صحف الملائكة فإذاوصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلكالمكتوب « [١٦] .وقال الألباني:» الحديث على ظاهره: أي أن الله جعل بحكمته صلة الرحمسببا شرعيا لطول العمر، وكذلك حسن الخلق وحسن الجوار كما في بعضالأحاديث الصحيحة، ولا ينافي ذلك ما هو معلوم من الدين بالضرورة أن العمرمقطوع به؛ لأن هذا بالنظر للخاتمة « [١٧] .وقال صلى الله عليه وسلم:» تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛فإن صلة الرحم منجاة في الأهل، منسأة في الأثر، مثراة في المال « [١٨] .وقال ابن عمر رضي الله عنه:» من اتقى ربه، ووصل رحمه أنسئ له فيعمره يعني يزاد له في عمره وينمو ماله يعني يكثر ويحبه أهله « [١٩] .وعن عائشة رضي الله عنها قالت:» إن حسن الخلق، وحسن الجوار،وصلة الرحم تعمر الدار وتزيد في الأعمار « [٢٠] .وقال أبو الليث:» وفي صلة الرحم خصال محمودة:أولها: رضا الله؛ لأنه أمر بتقواه وصلة الرحم فقال: [واتقوا الله الذيتساءلون به والأرحام] (النساء: ١) .الثاني: إدخال السرور عليهم. وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن.الثالث: فرح الملائكة، وحسن الثناء من المسلمين، وزيادة في العمر،وبركة في الرزق « [٢١] .هـ – ذكر الله وتلاوة القرآن:ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى اللهعليه وسلم:» إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر؛ فإذا وجدواقوما يذكرون تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماءالدنيا. قال: فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال:يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟قال: فيقولون: لا، والله ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون:لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. قال: يقول: فمايسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا،والله يارب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهمرأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمميتعوذون؟ قال:

يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون:لا، والله ما رأوها! قال يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانواأشد منها فرارا، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال:يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة! قال: هم الجلساءلا يشقى بهم جليسهم « [٢٢] .فانظر إلى بركة الذكر؛ حيث كان سببا لمغفرة الذنوب ودخول الجنة، بل إنهذه البركة لم تقتصر على الذاكرين وحدهم بل شملت حتى الجالس معهم.وقال تعالى: [وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه] (الأنعام:٩٢) .وقوله تعالى: [كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب](ص: ٢٩) .قال الآلوسي:» قوله [مبارك] (ص: ٢٩) أي كثير الفائدة والنفعلاشتماله على منافع الدارين وعلوم الأولين والآخرين صفة بعد صفة « [٢٣] .وروى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم:» اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه.اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهماغمامتان أو كأنهم غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما،اقرؤوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تسطيعهاالبطلة « [٢٤] .٢ – طلب البركة في الأمكنة المباركة، ومنها:١ – المساجد:لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:» أحب البلاد إلى اللهتعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله تعالى أسواقها « [٢٥] .وطلب البركة في المسجد؛ وذلك يكون من خلال الاعتكاف فيه، وانتظارالصلوات وصلاة الجماعة، وحضور مجالس الذكر [٢٦] ، ونحو ذلك مما هومشروع.فمن المساجد التي لها مزية وزيادة في البركة: المسجد الحرام، ومسجدرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى، ومسجد قباء؛ لقوله صلىالله عليه وسلم كما في الصحيحين:» صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاةفيما سواه إلا المسجد الحرام « [٢٧] . وعند الإمام أحمد بزيادة:» وصلاة فيالمسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا « [٢٨] .ولقوله صلى الله عليه وسلم:» لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجديهذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى « [٢٩] .ولقوله صلى الله عليه وسلم:» من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباءوصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة « [٣٠] .٢ – مكة والمدينة والشام واليمن:قال تعالى عن مكة: [إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدىللعالمين] (آل عمران: ٩٦) . قال القفال في تأويل البركة هنا:» يجوز أنتكون بركته ما ذكر في قوله: [يجبى إليه ثمرات كل شيء] (القصص: ٥٧) .وقيل: «بركته دوام العبادة فيه ولزومها» [٣١] .وقال الطبري: «لأن الطواف به مغفرة للذنوب» [٣٢] .وقال القرطبي: «جعله مباركا لتضاعف العمل فيه؛ فالبركة كثرةالخير» [٣٣] .ولقوله صلى الله عليه وسلم: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض اللهإلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» [٣٤] .وقال صلى الله عليه وسلم عن المدينة: «اللهم بارك لنا في مدينتنا وفيثمارنا، وفي مدنا، وفي صاعنا، بركة مع بركة» [٣٥] .وقال صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإنيحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعاإبراهيم لأهل مكة» [٣٦] .وأما الشام فقال صلى الله عليه وسلم: «طوبى للشام. فقلت: لأي شيء ذاك؟فقال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه» [٣٧] .وقال تعالى: [سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجدالأقصى الذي باركنا حوله] (الإسراء: ١) .واختصت الشام بهذه البركة؛ لأن أكثر الأنبياء عليهم السلام بعثوا فيها،وانتشرت في العالم شرائعهم.وأما اليمن فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم باركلنا في يمننا» [٣٨] .فمن سكن مكة أو المدينة أو الشام أو اليمن ملتمسا لبركات الله

فقد وفق لخيركثير.٣ – طلب البركة في أزمنة مباركة:١ – كشهر رمضان:قال صلى الله عليه وسلم: «قد جاءكم رمضان شهر مبارك، افترض اللهعليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيهالشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم» [٣٩] .ومن بركات هذا الشهر:١ – أنه سبب لمغفرة الذنوب: قال صلى الله عليه وسلم: «من صامرمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» [٤٠] .٢ – فيه ليلة خير من ألف شهر.٣ – ما يحصل فيه من المنافع الدينية والدنيوية [٤١] .وفيه ليلة القدر التي قال الله فيها: [إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنامنذرين] (الدخان: ٣) ؛ ولبركة هذه الليلة وعظم شأنها أمر الرسول صلىالله عليه وسلم بالتماسها فقال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشرالأواخر من رمضان» [٤٢] .ومن بركات هذه الليلة:١ – فيها يفرق كل أمر حكيم؛ فيكتب فيها ما هو كائن في السنة من الخيروالشر.٢ – مضاعفة العمل فيها ومغفرة ذنوب من قامها.٣ – إنزال القرآن.٤ – تنزل الملائكة فيها [٤٣] .٢ – عشر ذي الحجة:كما قال صلى الله عليه وسلم: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذا العشر.قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجعبشيء» [٤٤] .ومن بركات هذه العشر:١ – فضل العمل الصالح في هذه الأيام.٢ – أن فيها يوم عرفة، ومن صامه حصل له تكفير سنتين، وفيها يومالنحر وأيام التشريق.٣ – يوم الجمعة:قال صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيهخلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يومالجمعة» [٤٥] .ومن بركات هذا اليوم:١ – أن فيه ساعة الإجابة؛ كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرةرضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعةلا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه» [٤٦] .واختلف أهل العلم في تحديد هذه الساعة على أقوال أرجحها قولان:أ – أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة.ب – أنها آخر ساعة بعد العصر [٤٧] .٢ – أن من أدى صلاة الجمعة بآدابها غفر له ما بين الجمعتين.لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مناغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثميصلي معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام» [٤٨] .٤ – يوم الإثنين والخميس:قال صلى الله عليه وسلم: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس،فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شئيا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال:أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتىيصطلحا» [٤٩] .ومن بركة هذين اليومين:١ – تفتح أبواب الجنة في هذين اليومين.٢ – أعمال الناس تعرض في هذين اليومين.٥ – الثلث الأخير من الليل:كما قال صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماءالدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألنيفأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» [٥٠] .٤ –طلب البركة ببعض المطعومات، ومنها:١ – الزيت: لقوله تعالى: [يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار] (النور: ٣٥) . ولقوله صلى اللهعليه وسلم: «كلوا الزيت وادهنوا به؛ فإنه من شجرة مباركة» [٥١] .٢ – اللبن: لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول اللهصلى الله عليه وسلم إذا أتي باللبن قال: «كم في البيت بركة أو بركتين» [٥٢] .٣ – الحبة السوداء: لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:«إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» [٥٣] .٤ – العجوة: قال صلى الله عليه وسلم: «من تصبح سبع تمرات عجوة لميضره ذلك اليوم سم ولا سحر» [٥٤] .«قال الخطابي: كون العجوة تنفع من السم والسحر إنما

هو ببركة دعوةالنبي صلى الله عليه وسلم لتمر المدينة لا لخاصية في التمر. وقال النووي: فيالحديث تخصيص عجوة المدينة بما ذكر، وأما خصوص كون ذلك سبعا فلا يعقلمعناه كما في عدد الصلوات ونصب الزكوات» ا. هـ.وقال القرطبي: «ظاهر الأحاديث خصوصية عجوة المدينة بدفع السحروالسم، والمطلق منها محمول على المقيد» ا. هـ.وقال ابن حجر: «والأولى أن ذلك خاص بعجوة المدينة» [٥٥] .وقال ابن القيم: «وهذا الحديث من الخطاب الذي أريد به الخاص كأهلالمدينة ومن جاورهم، ولا ريب أن للأمكنة اختصاصا بنفع كثير من الأدوية فيذلك المكان دون غيره» [٥٦] .٥ – الكمأة: قال صلى الله عليه وسلم: «الكمأة من المن، وماؤها شفاءللعين» [٥٧] .٦ – العسل: قال تعالى: [يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاءللناس] (النحل: ٦٩) .٧ – ماء زمزم: قال صلى الله عليه وسلم: «إنها مباركة، إنها طعامطعم» [٥٨] .وكان عبد الله بن المبارك إذا أتى زمزم استقبل القبلة ثم قال: اللهم إن ابنأبي الموال حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهقال: «ماء زمزم لما شرب له» ، وهذا أشربه لعطش القيامة. ثم شربه « [٥٩] .ولما سئل ابن خزيمة: من أين أتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله صلى اللهعليه وسلم:» ماء زمزم لما شرب له «، وإني لما شربت سألت الله علمانافعا [٦٠] .٨ – ويلحق بما سبق:أ – الخيل: لقوله صلى الله عليه وسلم:» الخيل معقود في نواصيها الخيرإلى يوم القيامة: الأجر، والمغنم « [٦١] .ب – الغنم: لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن الصلاة في مرابضالغنم فقال:» صلوا فيها؛ فإنها بركة « [٦٢] .وقد ذكر القرطبي رحمه الله وجوه البركة في الغنم:» ما فيها من اللباسوالطعام والشراب وكثرة الأولاد؛ فإنها تلد في العام ثلاث مرات، إلى ما يتبعها منالسكينة، وتحمل صاحبها عليه من خفض الجناح، ولين الجانب « [٦٣] .ج – النخل: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بينما نحن عندالنبي صلى الله عليه وسلم جلوس إذا أتي بجمار نخلة فقال النبي صلى الله عليهوسلم:» إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم « [٦٤] .٥ – طلب البركة في خصال حميدة، ومنها:أ – الاجتماع على الطعام والأكل من جوانب القصعة، ولعق الأصابع، وكيلالطعام [٦٥] ، لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:» فاجتمعواعلى طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه « [٦٦] .وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليهوسلم:» كلوا جميعا ولا تفرقوا؛ فإن طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنينيكفي الثلاثة والأربعة، كلوا جميعا ولا تفرقوا؛ فإن البركة في الجماعة « [٦٧] .وقال صلى الله عليه وسلم:» البركة تنزل في وسط الطعام، فكلوا منحافتيه، ولا تأكلوا من وسطه « [٦٨] .وقال صلى الله عليه وسلم:» إذا أكل أحدكم فليلعقن أصابعه؛ فإنه لا يدريفي أيتهن البركة « [٦٩] .ويقول الشيخ الألباني:» وفي الحديث أدب جميل من آداب الطعام الواجبةألا وهو لعق الأصابع ومسح الصحفة بها، وقد أخل بذلك أكثر المسلمين اليوممتأثرين بعادات أوروبا الكافرة وآدابها القائمة على الاعتداد بالمادة ... إلخ « [٧٠] .وقال صلى الله عليه وسلم:» كيلوا الطعام يبارك لكم « [٧١] .ب – الصدق في المعاملة: جاء في الصحيحين عن حكيم بن حزام رضي اللهعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» البيعان بالخيار ما لم يتفرقا؛فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما « [٧٢] .ومعنى قوله:» بورك لهما في بيعهما «أي: كثر نفع البيع والثمن [٧٣] .ت – سخاوة النفس في طلب المال: قال صلى الله عليه وسلم:» إن هذاالمال خضرة حلوة؛ فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفسلم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع « [٧٤] .ث – التسمية في جميع الأعمال: لما روي عن رسول الله صلى الله عليهوسلم أنه

قال:» فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه « [٧٥] .ج – شكر الله على نعمه: قال تعالى: [لئن شكرتم لأزيدنكم](إبراهيم: ٧) .وحقيقة الشكر: أن تظهر في قلبك **الفرح بالله** وبنعمته وفضله عليك، ثمتخوض في العمل بموجبه، وذلك بالجوارح والقلب واللسان.أما الجوارح فباستعمالها في طاعة الله، والقلب فشكره دوام المراقبة، واللسانفشكره ذكر الله [٧٦] .د – استغلال أوقات البكور: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولالله صلى الله عليه وسلم: بورك لأمتي في بكورها» [٧٧] .وعن صخر بن وادعة الغامدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلمقال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» ، وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم فيأول النهار، وكان صخر رجلا تاجرا، وكان يبعث تجارته في أول النهار فأثربوكثر ماله [٧٨] .ما يذهب البركة:١ – الذنوب والمعاصي:قال تعالى: [إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم](الرعد: ١١) .وقوله تعالى: [ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروام‍ا بأنفسهم] (الأنفال: ٥٣) ، ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أنجميع الفساد في جوه ونباته وحيوانه وأحوال أهله حادث بعد خلقه بأسباب اقتضتحدوثه، ولم تزل أعمال بني آدم ومخالفتهم للرسل تحدث لهم من الفساد العاموالخاص ما يجلب عليهم من الآلام والأمراض، والأسقام والطواعين، والقحوطوالجدوب، وسلب بركات الأرض وثمارها ونباتها، وسلب منافعها أو نقصانهاأمورا متتابعة يتلو بعضها بعضا « [٧٩] .٢ – الحرص وكثرة الطمع والرغبة في الدنيا:قال صلى الله عليه وسلم:» إن هذا المال خضرة حلوة؛ فمن أخذه بسخاوةنفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولايشبع « [٨٠] .ويقول الحافظ:» ضرب المثل لما يعقله السامع من الأمثلة؛ لأن الغالب منالناس لا يعرف البركة إلا في الشيء الكثير؛ فبين بالمثال المذكور أن البركة هيخلق من خلق الله تعالى، وضرب لهم المثل بما يعهدون؛ فالآكل إنما يأكل ليشبع؛فإذا أكل ولم يشبع كان عناء في حقه بغير فائدة، وكذلك المال ليست الفائدة في عينهوإنما هي لما يتحصل به من المنافع؛ فإذا كثر عند المرء تحصل منفعة كانوجودها كالعدم « [٨١] .٣ – البعد عن أسباب جلب البركة:وهي ما ذكرناه سابقا.

____

(١) رواه الترمذي، ١٣/٦٥، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير، (١١٩٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٣) .(٢) صحيح الكلم الطيب (١٤٤) .(٣) تفسير السعدي، ٣/ ٢٠٠.(٤) المفردات في غريب القرآن، ص ٢٤.(٥) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ١/٢٣٠.(٦) انظر لسان العرب، ١/٣٨٦، ومختار الصحاح، ص ٤٩، والنهاية لابن الأثير، ١/٢٠.(٧) التبرك المشروع والممنوع، للعلياني، ص ٢١.(٨) صحيح البخاري مع الفتح، ٦/٤٣٣.(٩) رواه أحمد في المسند، ٦/٢٧٧.(١٠) انظر التبرك المشروع والتبرك الممنوع، ص ١٧ بتصرف يسير.(١١) التبرك، للجديع، ص ٢٤.(١٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم، ص ٦٣.(١٣) رواه البخاري (١٠/٤٢٩) ، ومسلم (١٦/١١٤) .(١٤) انظر: فتح الباري (١٠/٤٢٩) .(١٥) انظر شرح مسلم، للنووي (١٦/١١٤) .(١٦) مجموع الفتاوى، (١٤/٤٩٠) .(١٧) صحيح الأدب المفرد، للألباني، ص ٥٠.(١٨) رواه أحمد (٨٥١٣) ، والترمذي (١٩٠٢) ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٧٦) .(١٩) البركة، للحبيشي، ص ٩٣.(٢٠) رواه أحمد، الفتح الرباني، (١٩/٥٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٦٧) .(٢١) البركة، للحبيشي، ص ٩٥.(٢٢) صحيح البخاري مع الفتح، (١١/١٧٧) ، رقم (٦٤٠٨) .(٢٣) تفسير الآلوسي، ٧ / ٢٢١.(٢٤) رواه

مسلم مع شرح النووي، ٦/ ٩٠ البطلة: السحرة (لسان العرب) .(٢٥) رواه مسلم مع شرح النووي، ٥/ ١٧١.(٢٦) فلهذا تميز علم السلف مع قلة إمكانياتهم عن علم الخلف مع وفرة إمكانياتهم وسهولة تحصيله، فتأمل ذلك! ! .(٢٧) البخاري، ٢/ ٥٧، ومسلم، النووي، ٩/١٦٣.(٢٨) مسند أحمد، ٤/٥.(٢٩) رواه البخاري، ٢/ ٥٨، ومسلم، ٩/ ١٦٨.(٣٠) مسند أحمد، ٣/ ٤٨٧، والنسائي، ٢/ ٣٧، وابن ماجه (١٤١٢) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ٢٣٨.(٣١) انظر تفسير الآلوسي، ٤/٥.(٣٢) انظر تفسير الطبري، ٤/ ١٠.(٣٣) الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ١٣٩.(٣٤) مسند أحمد، ٤/ ٣٠٥، وابن ماجه (٣١٠٨) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ١٩٦.(٣٥) رواه مسلم، ٩/ ١٤٦.(٣٦) صحيح مسلم، النووي، ٩/١٣٤.(٣٧) رواه أحمد، ٥/ ١٨٥، والترمذي (٥/٧٣٤) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٢/٥٥.(٣٨) رواه البخاري، ٨/ ٥٩.(٣٩) مسند أحمد، ٢/ ٢٣٠، وقال الألباني: هو حديث جيد لشواهده كما في مشكاة المصابيح، ١/٦١٢.(٤٠) رواه البخاري، ٢/ ٢٢٨، ومسلم ١/ ٥٢٤.(٤١) التبرك، للجديع، ص ١٣٥.(٤٢) رواه البخاري مع الفتح، ٢/ ٣٨٣.(٤٣) التبرك، للجديع، ص ١٤٦.(٤٤) رواه البخاري مع الفتح، ٤/ ٢٢٦.(٤٥) رواه مسلم، ٦/١٤١.(٤٦) رواه البخاري، ١/٢٢٤، ومسلم ٢/ ٥٨٤.(٤٧) انظر هذه المسألة في فتح الباري، ٢/ ٤١٦ ٤٢١، وزاد المعاد، ١/ ٣٨٩، وشرح مسلم للنووي، ٦/ ١٤٠.(٤٨) رواه مسلم، ٢/ ٥٨٧.(٤٩) رواه مسلم، النووي، ١٦/١٢٢.(٥٠) رواه البخاري، ٨/ ١٩٧.(٥١) رواه أحمد، ٣/ ٤٩٧، والحاكم، ٢/ ٣٩٨، وقال محقق زاد المعاد: رجاله ثقات، ٤/ ٣١٧.(٥٢) رواه أحمد، ٦/١٤٥، وابن ماجه، ٢/ ١١٠٣، وقال صاحب الفتح الرباني، ١٧/١١٥: سنده جيد.(٥٣) رواه ابن ماجه (٣٤٢٨) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٢٥٤ السام: الموت.(٥٤) صحيح البخاري مع الفتح، ١٠/٢٠٤.(٥٥) فتح الباري، ١٠/٢٥٠.(٥٦) زاد المعاد، ٤/ ٧٨.(٥٧) صحيح البخاري، في كتاب التفسير، رقم ٤٤٧٨، ومسلم في كتاب الأشربة، رقم ٢٠٤٩.(٥٨) رواه مسلم مع شرح النووي، ١٦/٣٠.(٥٩) نزهة الفضلاء، ٣/ ١١٦٠.(٦٠) نزهة الفضلاء، ٣/ ١١٦٠.(٦١) رواه البخاري، ٣/ ٢١٥.(٦٢) رواه أبو داود، ١/١٨٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٣٧.(٦٣) ١٠/ ٨٠ (٤) رواه البخاري، ٦/٢١١.(٦٤) التبرك المشروع والممنوع، ص ٣٧.(٦٥) رواه أحمد، ٣/ ٥٠١، ورواه أبو داود (٣٧٦٤) ، وابن ماجه (٣٢٨٦) ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ٧١٧.(٦٦) حديث حسن انظر: صحيح الجامع (٤٥٠١) .(٦٧) رواه أحمد، ١/ ٢٧٠، وأبو داود (٣٧٧٢) ، وابن ماجه (٣٢٧٧) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ٧١٩.(٦٨) رواه أحمد، ٢/٣٤١، والترمذي.(٦٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٢) .(٧٠) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٧٦) .(٧١) رواه البخاري، ٣/ ٢٢.(٧٢) رواه البخاري، ٣/١٠، ومسلم ٣/ ١١٦٤.(٧٣) عمدة القاري، ١١/ ١٩٥.(٧٤) رواه البخاري، ٢/ ١٢٩، ومسلم ٢/ ٧١٧.(٧٥) وراه أحمد، ٣/ ٥٠١، وراه أبو داود (٣٧٦٤) ، وابن ماجه (٣٢٨٦) ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ٢/ ٧١٧.(٧٦) انظر البركة في السعي والحركة ص ١٦٨.(٧٧) أخرجه ابن ماجه رقم ٢٢٣٧، وأحمد رقم ١٣٢٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٤١) .(٧٨)

رواه أبو داود ٣/ ٧٩ والترمذي، ٣/ ٥١٧، وابن ماجه، ٢/ ٧٥٢ وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم ٣٤٥.(٧٩) زاد المعاد.(٨٠) رواه البخاري، ٢/ ١٢٩، ومسلم ٢/ ٧١٧.(٨١) فتح الباري ٣/ ٣٣٧.." (١)

"لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الطعام وتلهيها عن الزادلها بوجهك نور يستضاء به ... ومن حديثك في أعقابها حادالفرح المحمود:تبقى نقطة أخرى في هذا الموضوع، وهي خاصة بمسألة الشعور بالفرح والسرور الذي ينتاب الفرد في بعض الأوقات عند ورود نعمة، أو عند التوفيق للقيام بعمل صالح .. هل هذا الفرح مذموم أو لا؟!الفرح المذموم هو فرح المرء بنفسه وافتخاره بها أنها صارت كذا وكذا، أو قامت بفعل كذا وكذا، وهذا الذي تلبس به قارون: ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦].أما الفرح المحمود فهو فرح العبد بربه أن أكرمه بهذه النعمة واختصه بها، وأن وفقه للقيام بهذه الطاعة وجعله سببا لدعوة الناس وإقبالهم على دينه ... وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ [يونس: ٥٨].فلا يستطيع أحد أن يمنع نفسه من الفرح عند تلقي أخبار سارة، أو ورود نعمة جديدة، أو القيام بعمل من الأعمال والنجاح فيه، لكن علينا أن ننسب كل فضل لله، وأن يكون فرحنا به سبحانه وتعالى، مثل قوله تعالى: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله﴾ [الروم: ٤، ٥]. ونترجم هذا الفرح بمناجاة الله وحمده على فضله وتوفيقه، وأنه لولاه ما تم شيء من هذا أبدا.ومما يلحق بهذه النقطة قوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: " تلك عاجل بشرى المؤمن " عندما سأله: يا رسول الله، أرأيت الرجل يعمل العمل لله يحمده الناس عليه؟!فالضابط لفرح أحدنا بحمد الناس له أن يكون منشأ فرحه: **الفرح بالله** وبفضله وتوفيقه للقيام بهذا العمل، والذي يساعده على ذلك المسارعة إلى شكر الله - عز وجل - ومناجاته، وأن ينسب الفضل كله إليه.يقول ابن القيم: والذي يساعد العبد على تصفية سروره من شوائب الطغيان أن يبالغ في الشكر ويكثر منه، وكذلك التواضع والتذلل لله عز وجل.." (٢)

"(يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار) أي عن صلاتها. (من أول النهار) يحتمل أن يراد بها فرض الصبح وركعتا الفجر أو أريد بالأربع المذكورة صلاة الضحى. (أكفك آخره): يحتمل أن يراد كفايته من الآفات والحوادث الضارة، وأن يراد حفظه من الذنوب والعفو عما وقع منه في ذلك أو أعم من ذلك.١٤ - شكر الله - عز وجل - على نعمه:قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ (إبراهيم: ٧).وحقيقة الشكر: أن تظهر في قلبك **الفرح بالله** وبنعمته وفضله عليك، ثم تخوض في العمل بموجبه، وذلك بالجوارح والقلب واللسان. أما الجوارح فباستعمالها في طاعة الله، والقلب فشكره دوام المراقبة، واللسان فشكره ذكر الله - عز وجل -.." (٣)

"فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي صلاتك في شغل المجاذبة، ومثاله: رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تهوش عليه، فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة، فقيل له: إن أردت الخلاص فاقطع الشجرة، فكذلك شجرة

---

(١) مجلة البيان مجموعة من المؤلفين ٢٠/١٦٧

(٢) حطم صنمك وكن عند نفسك صغيرا مجدي الهلالي ص/١٦٠

(٣) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٣٣٧/٢

الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الأقذار، والشغل يطول في دفعها، فإن الذباب كلما ذب آب، ولأجله سمي ذبابا، فكذلك الخواطر، وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد.ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزود ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة، فإن من فرح بالدنيا لا **يفرح بالله** سبحانه وبمناجاته.وهمة الرجل مع قرة عينه، فإن كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همه، ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة، فهذا." (١)

"احذر نفسك:ومع دوام إمداد القلب بالإيمان على المرء ألا ينسى نفسه، أو يغفل عنها، وعليه أن يسيء الظن بها، مع مجاهدتها دوما على لزوم الصدق والإخلاص لله عز وجل، وعليه عدم التوجه بالعمل لغيره سبحانه، وكذلك فإن عليه أن يربي نفسه على الاستعانة بالله في أموره كلها، وأن يضبط فرحه بعد نجاحه في أداء العمل، وأن يجعل هذا الفرح: **فرحا بالله** وبفضله أن أعانة ووفقه على إتمام هذا العمل، وعليه أيضا أن يربي نفسه على نكران الذات، والتواضع، وأن يكون فيعين نفسه صغيرا، وأن يرى الناس جميعا أفضل منه، وأن يلازمه الشعور باليأس من النجاة بعمله، وأن عمله مهما كثر فلن يوفي مثقال ذرة من حق الله ودينه المستحق، وأن يوقن بأن نجاته متعلقة بعفو الله عنه ورحمته إياه ..هذه المعاني لا يكفي مجرد معرفتها لكي تتحقق، بل لابد من ممارستها، والتربية عليها، واختبار النفس دوما فيها.الحركة المباركة:ومع الاهتمام بالتربية المعرفية والإيمانية والنفسية لابد من الاهتمام كذلك بالتربية الحركية التي تهدف إلى التعود على بذل الجهد في سبيل الله وتبليغ دعوته.ولا يكفي –كما أسلفنا– أن يتحرك ويبذل جهده من أجل خدمة دينه حسبما تتحين ظروفه، بل ينبغي أن تشكل عنده «منهج حياة»، وأن يضعها في أولوياته عندما يخطط لوقته.ماذا لو أهملت التربية؟هذه المحاور الأربعة للتربية علينا الاهتمام بها جميعا، وعدم التركيز على محور دون الآخر، ولو حدث هذا لكان النتاج: تشوه في الشخصية، وعدم ظهور ثمرة التربية المتكاملة ألا وهي تحقيق العبودية لله عز وجل بمفهومها الصحيح.فعندما يحدث اهتمام بتحصيل العلم دون الاهتمام بزيادة الإيمان، فستكون النتيجة المتوقعة: شخص كثير التنظير، حافظا للنصوص، كثير الحديث عن القيم والمبادئ والمعاني العظيمة، لكنك تجد في المقابل واقعا يختلف عن الأقوال والتنظيرات، فهو يتحدث عن العدل والمساواة، بينما لا يتعامل هو مع الآخرين بهذه القيم وبخاصة مع من يرأسهم .. يتحدث عن الزهد في الدنيا وأهمية العمل للآخرة في حين يحرص على جمع المال، وينفق منه بحساب شديد، ويدقق في كل شيء، وفي أتفه الأمور.كل هذا وغيره بسبب عدم الاهتمام بالإيمان بنفس درجة الاهتمام بالعلم، فالذي يقرب المسافة بين القول والفعل، ويترجم العلم إلى سلوك هو الطاقة والقوة الروحية المتولدة من الإيمان كما أسلفنا.أما عندما يتم الاهتمام بالإيمان دون العلم فستجد أمامك شخصا جاهلا مشوها يتشدد فيما لا ينبغي التشدد فيه، ويترخص فيما لا ينبغي الترخص فيه.ستجد شخصا ضيق الأفق لا يستطيع أن يتعامل مع فقه الواقع ومستجدات العصر، ولعل في قصة التائب –قاتل المائة– ما يؤكد ذلك، فهذا الرجل الذي كان قد قتل تسعا

---

(١) القواعد الحسان في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان رضا أحمد صمدي ص/٧٠

وتسعين نفسا ثم تاقت نفسه للتوبة فسأل عن أعبد الناس فدلوه على راهب، فذهب إليه وأخبره بما فعله ثم سأله: هل لي من توبة؟!! فكانت إجابته بالنفي تعكس مدي جهله بالله عز وجل الغفور الرحيم، فما كان من الرجل إلا أن قتله بعد أن يأسه من التوبة، ليكمل به الضحية المائة.وبعد ذلك تاقت نفسه مرة أخرى للتوبة، فسأل عن أعلم الناس، فدلوه على عالم بمفهوم العلم الصحيح ألا وهو العلم بالله وبأحكامه فذهب إليه وسأله: هل لي من توبة بعد كل ما فعلته؟!، فطمأنه هذه العالم، وأجابه بأن له توبة فالله –عز وجل- يغفر الذنوب جميعا، ثم طلب منه أن يغادر بلدته إلى بلدة أخرى حتى تحسن توبته بوجوده في وسط طيب لا يذكره بماضيه.فما أضر على الإنسان من الجهل!! وما أخطر على الإنسان من ضعف الإيمان!!." (١)

"ولا تتجرد الفرحة، بل لا بد من ترحة تقارنها؛ ولكن قد تقوى الفرحة على الحزن، فينغمر حكمه وألمه مع وجودها وبالعكس.

فالفرح بالله وبرسوله، وبالإيمان، وبالقرآن، وبالسنة، وبالعلم يعد من أعلى مقامات العارفين، وأرفع منازل السائرين.

وضد هذا الفرح الحزن، الذي أعظم أسبابه الجهل، وأعظمه الجهل بالله، وبأمره، ونهيه؛ فالعلم يوجب نورا، وأنسا، وضده يوجب ظلمة، ويوقع في وحشة.

ومن أسباب الحزن تفرق الهم عن الله؛ فذلك مادة حزنه، كما أن جمعية القلب على الله مادة فرحه ونعيمه؛ ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه، وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدا.." (٢)

---

(١) التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم مجدي الهلالي ص/٣٤

(٢) دروس رمضان محمد بن إبراهيم الحمد ص/١٦